العدد الحادى عشر من السنة السادسة ذو الحجة سنة ١٣٦٤ — نوفمبر سنة ١٩٤٥

مجلة

الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشريف

تليفون ٨٥٣١٢

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٤٥

فى هذا العدد

		صفحة
نحو العدالة الاجتماعية	لحضرة صاحب المعالى عبد المجيد بدر بك ...	٣
تطور الاتجاه الطبيعى	« السعادة حافظ رمضان باشا ...	١٠
الحظ	للأستاذ زكى المهندس	١٩
المسرح فى خدمة الشعب	للأستاذ زكى طليمات	٢٤
مستقبل الجمعيات التعاونية	لصاحب العزة حسن الزينى بك	٢٨
الطلاق	للأستاذ عبد الحميد يونس	٣٢
الجسم والروح	للأستاذ محمد عبد المنعم خلاف	٣٥
واجبنا نحو أولادنا	للدكتور عبد العزيز عبد المجيد	٣٩
من أعجب ما قرأت	للأستاذ دريني خشبه	٤٣
الصيحة الجديدة	للأستاذ عبد الرحمن العيسوى	٤٧
الصناعة وأثرها فى كياننا القومى ...	للأستاذ محمد صبحى الدغمى	٥١
المشروع الأول	« عريان سعد	٥٦
الفوضى الاجتماعية فى أوربا	« حسن مظهر	٦١
العلاقة بين صاحب العمل وعماله	« عيسى متولى	٦٥
وسائل القضاء على البطالة	... ...	٦٩
الصناعات المنزلية	للأستاذ عباس بدران	٧١
النفس والشعور والحرمان	محمد محمود حمدان	٧٤
فى ميدان النشاط الاجتماعى	... ...	٧٨

نحو العدالة الاجتماعية

لحضرة صاحب المعالى الأستاذ عبد المجيد بدر بك
وزير الشؤون الاجتماعية

نص المحاضرة التى ألقاها معاليه بقاعة يورت التذكارية بالجامعة الأمريكية
مساء يوم ١٩٤٥/١٠/٢٥

منذ سبعة أشهر أو تزيد قليلا ، وقفت موقفى هذا لألقى بناء على رغبة الدكتور كلينلند محاضرة كان موضوعها "الى أى حد يمكن أن تكون مسألة رفع مستوى المعيشة فى الشعوب مسألة دولية" ، وكان مرد الفكرة إلى ما ترامى الينا عن مقترحات دومبارتون أوكس التى بنى على أساسها ميثاق الأمم المتحدة الذى اشترك مندوبو مصر فى توقيعه بسان فرنسيسكو ، وأقره البرلمان فى الدورة الاستثنائية الأخيرة ، والذى يعنينا من أمره هنا هو تأليف المجلس الاقتصادى الاجتماعى ، ولا شك فى أنه سيكون من أهم أغراض ذلك المجلس ، رفع مستوى المعيشة فى الشعوب ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، أداء للواجب الذى نص عليه فى ديباجة الميثاق ، فقد ورد فيها ما نصه " على لسان الأمم المتحدة " (وأن نستخدم الأداة الدولية فى ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعا) ، على أن الجهود الدولية لا يمكن أن تكفى إذا لم تقترن بجهود كل دولة على حدتها ، لرفع مستوى المعيشة فيها ، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين طبقاتها المختلفة .

وواجبنا حيال هذا الموضوع الخطير ، يحتم علينا الاستفادة بآراء المفكرين من علماء الاجتماع ، عن طريق المحاضرات أحيانا ، والمناظرات أحيانا أخرى ، ولذلك جعلت فاتحة الموسم الثقافى لوزارة الشؤون الاجتماعية فى دورتها الأولى ، كلمة ألقيها عليكم تحت عنوان " نحو العدالة الاجتماعية " ، ومن التجوز أن نسميها محاضرة إذ الواقع أنها نداء ، أتوجه به الى كل من يؤمن معى بأن الجاهل فى ذمة العالم وأن للوطن فى ذممنا ضريبة معنوية نؤديها على صورة الإرشاد والرأى السديد .

وإنى باسم مصر ، أطالب أساطين الاقتصاد وعلماء الاجتماع ، باسداء المشورة إلى الحكومة فيما هى بسبيله من معالجة مشاكلنا الاجتماعية ، ومعاونتها على إثارة الاهتمام بهذه المشاكل ، ومساهمة كل قادر على الاشتراك فى حلها بنصيبه المستطاع وليس بدعا أن تصدر هذه الصيحة عن وزير يحمل تبعات الحكم ، لأنه لا شك فى أن العدالة الاجتماعية لا يمكن أن تتحقق بجهود الحكومة وحدها ، بل لا بد من أن يتعاون الشعب معها على رفع مستواه وتحقيق هذه العدالة المرجوة بين طبقاته .

وإذا نحن استعرضنا مشاكلنا الإجتماعية تبدّى لنا الثالوث المقوت الذى يتمثل فيه الفقر والجهل والمرض .

فأما الفقر فمنشأه فى رأيى فيما يتعلق بسواد الشعب فى الريف من ضيق رقعة الأرض ، بالنسبة لعدد السكان ، وتدهور الانتاج الزراعى بسبب التوسع فى نظام الرى الصيفى بغير أن يقترن بشق المصارف الكفيلة بالمحافظة على جودة التربة ، وعدم العناية باستخدام الآلات الحديثة فى الأعمال الزراعية ، ويزيد الطين بلة تورط المستأجرين فى المزادات التى يعقدها ملاك الأراضى ، ومبالغتهم فى تقدير قيمة الإيجار الى حد يعجزون معه عن التسديد ، وقد تصل الحال بالكثيرين منهم الى بيع ما كانوا يملكون فى سبيل الوفاء ببقية الإيجار الذى أسرفوا على أنفسهم فى احتماله ، ويتصل بهذا الموضوع مظهر بشع ، يجب أن يزول من الوجود ، وهو استئثار فرد واحد بملكية كل زمام القرية ، والناس فى هذه الحالة ، ليسوا إلا عبيدا لهذا السيد الفرد ، يتحكم فيهم كيفما يشاء ، سواء أكانوا مستأجرين أو أجراء . وتعتزم الحكومة فى مثل هذه الحالة ، أن تنزع ربع زمام القرية ، ثم تبيعه لبعض سكانها المعدمين ، بشروط ميسورة ، وصحيح أنه عند ما نزلت الآية الكريمة : " وتلك الأيام نداولها بين الناس " قال النبى عليه الصلاة والسلام " أبشروا يارعاة الغنم " لكن هذا التداول فى القرية المملوكة لفرد واحد ، سيطول إنتظاره الى أمد بعيد ، ولا بد لرفع مستوى سكانها من تشريع يعجل بازالة مظهر العبودية التى يرسفون فى أغلالها أبد الدهر ، أما الأجراء من العمال الزراعيين ، فحالهم أشد بؤسا بسبب قلة أجورهم ، وقصورها عن الوفاء بتكاليف الحياة اللائقة بإنسانيتهم ، سواء بالنسبة إليهم ، أو لمن يتكفلون بهم من الزوجات والأولاد ولذلك تعتزم الحكومة ، أن تستصدر فى شأنهم قانونا تتألف على مقتضاه لجان أقليمية ، لتحديد أجوره سنويا ، بعد الإسترشاد بأسعار المحاصيل وغلة الأرض وتكاليف الحياة .

وترى الحكومة فى شأن المعدمين والأجراء أيضا أن تمكنهم من التملك والعمل فى شمال الدلتا حيث توجد الأراضى المحتاجة للإصلاح ، كما أنها ستبيع لهم مئات من آلاف الأفدنة التى تملكها وتصلح للزراعة فعلا وذلك على صفقات صغيرة بثمن مقسط على أجل طويل وفوائد معقولة ، وسيراعى فى التمليك أو التشغيل تميز سكان المديريات المزدحمة بأهلها كالمنوفية مثلا ، حيث تشتد كثافة السكان ويضيق عنهم نطاق الأرض ، وتهبط أجورهم تبعا للعرض والطلب ونرجو إذا تحققت لنا وحدة وادى النيل عما قريب فيما نؤمل أن يجد الأجراء فى الشطر الآخر من الوادى مجالا للعمل لأنه ليس فى مصلحة أحد أن تضيع مياه النيل هدرا وأن تكون فى السودان مساحات واسعة صالحة للزراعة ، ثم تترك بورا ، لقلة يد عاملة فى استنباتها ، بينما تموج مصر بالعاطلين من أولئك العمال وتكون الخسارة مزدوجة بهذا البوار وذلك التعطل ويصدق فينا وفى حلفائنا قول الشاعر :

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

وتعلق الحكومة أملا كبيرا على كشف كنوز الصحراء لاستغلال ثرواتها المعدنيـــة وتوجيه بعض العمال العاطلين إلى مناجمها الغنية ، ولعل هـــذا المورد سيكون أحد عناصر المحاضرة التي نتطلع إلى الاستماع اليها بفارغ الصبر من حضرة صاحب السعادة عبـد القوى أحمد باشا في يوم الخميس ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٥ ، وفي هذه القاعة أيضا .

وأما العمال الصناعيون ، فلا يقلون عن اخوانهم في الريف بؤسا ، على الرغم مما شملتهم به الحكومة منذ سنوات طويلة ، من العناية بأمورهم ، واصدار التشريعات الكفيلة بصيانة حقوقهم ، وتأليف النقابات التي تدافع عن مصالحهم ، وتحاول أن تؤدي اليهم ألوانا من الخدمات الثقافية والاجتماعية . وذلك لأن الصناعة في مصر لا تزال في طفولتها ، ولا يزال مجالها أضيق من أن يتسع لاستيعاب كل من في المدن من العمال العاطلين ولقانون العرض والطلب قساوته فيهم ، لذلك نرى أجورهم منخفضة كثيرا عن أجور نظرائهم في الأمم الصناعية ، ويزيد وطأة هذا القانون شدة أن عشرات من ألوف العمال ، الذين كانوا يعملون في السلطات العسكرية سيتعطلون بعـد أن وضعت الحرب أوزارها ، ولا يقتصر ضرر تعطلهم عليهم وحدهم ، بل سيتعداهم إلى غيرهم من العمال الذين يعملون الآن في المصانع الحكومية والأهلية ، نتيجة لتزاحم الجميع على الوظائف المحدودة ، وهي مشكلة تعد من أعوص المشاكل التي تواجهها الحكومة الآن ، ولقـد توسلت بحلها بتخصيص خمسـة وعشرين مليونا من الجنيهات ، اقتطعتها من المـال الاحتياطي لتعجل بتنفيـذ المشروعات التي توقف تنفيـذها بسبب الحرب ، وترجو الحكومة من وراء ذلك أن تفسح المجال أمام العمال الذين سيتعطلون بعد ترك الخـدمة في السلطات العسـكرية لتحميهم من البطالة ، وتحمي اخوانهم في المصانع الحكومية والأهلية ، من خطر التزاحم الذي يهددهم بخفض الأجور عما هي عليه الآن ، في حين أنها أقل مما يكفي لمواجهة تكاليف الحياة ، وقد حرصت الحكومة على أن تجعل ضمن المبلغ الذي اقتطعته من الاحتياطي لتنفيذ مشروع السنوات الخمس ، مبلغ مليون جنيه ، لشراء بعض المصانع التي ستتخلف عن السلطات العسـكرية تدعيما للصناعات المصرية ، واستبقاء لمجال العمل أمام بضعة الألوف من أولئك العمال الذين سيتعرضون للتعطل ، ويسرني أن أسجل هنا أنه قد ثبتت في محيط العمال فكرة نالت كل التأييـد مني ، ولما رفعت إلى المسامع الكريمـة حظيت بشرف القبول ، لأنهـا مظهر جميل للاشتراكية الصحيحة ، وهي فكرة مساهمة العمال كل منهم على قدر استطاعته بنصيب من مكافأة خدمته في شراء المصانع التي يضمن لهـا الرواج في السوق المحلية ، وقـد اتفقت مع سعادة مدير بنك مصر وسعادة مدير البريد على التسهيلات التي تيسر لهؤلاء العمال تقديم ما يرغبون في المساهمة به ، أينما كانوا في جميع أرجاء البلاد ، ولدى ما يحملني على التفاؤل بنجاح هذا المشروع بفضل التأييد الملكي

السامى لفكرته ، وإدراك العمال لمصلحتهم الحقيقية فيه، وتعضيد الشركات وأصحاب الأموال وذوى الرأى لهذا المشروع بأموالهم وأفكارهم وتوجيهاتهم الحكيمة، وأريد أن أنتهز هذه الفرصة لأعلن أن المليون جنيه الذى خصصته الحكومة لشراء بعض المصانع سيكون بمثابة سلفة دورية، بحيث يمكن بوساطته أن يتكرر الشراء والبيع من السلطات العسكرية وإلى الشركات الصناعية، حتى تحصل البلاد على جميع المصانع التى تستفيد الصناعة الوطنية من بقائها وتتوطد بها أركانها، ويتسع فيها مجال العمل لأكبر عدد ممكن من المتعطلين، أما المصانع التى سيساهم العمال فى رأسمالها ، فستكون قاصرة على ما يضمن له رواج منتجاته فى السوق المحلية طوال أيام السلم ، كما أفاد السلطات العسكرية خلال أيام الحرب ، وأضرب لذلك مثلا مصنع الملابس المجهزة فى غمرة ، الذى يحتوى على بضع مئات من أحدث الآلات الكهربائية لتفصيل هذه الملابس وحياكتها وتجهيزها وهو يضم ١٥٠٠ عامل وعاملة ، فليطمئن العمال وأصحاب الأموال على أن أسهمهم مضمونة الربح ، مأمولة الارتفاع لأن الاستهلاك المحلى سواء للموظفين أو للطلبة ، كفيل باستغراق كل منتجات هذا المصنع ، ولن يكون رواجه على حساب المستهلكين ، فان ضخامة إنتاجه تمكنه من الصمود أمام المنافسات مع تحقيق ربح معقول ، وبذلك تصان مصلحة المنتج والمستهلك على السواء ، وأعود بعد هذا الاستطراد إلى موضوع الفقر ، فأقول إن له قرائن أخرى ليست بين عمال الزراعة فى الريف ، ولا بين عمال الصناعة فى المدن، وإنما تجدها فى عائلات أخنى عليها الدهر فى العواصم، إما لفقد عائلها ، وانقطاع مورد الرزق عنها وإما لعجزه عن التكسب لسبب الشيخوخة أو المرض وإما لغير هذين السببين من العوامل الأخرى ، كانفصال الزوجين ، أو تعدد الزوجات وتشرد الأولاد من البعوز وهى مشكلة أخرى تواجهها الحكومة بكل ما تملك من الوسائل ، فهى تحاول فى حدود طاقتها المالية أن تنقذ هذه الأسر من مخالب الفقر ، بمد يد المعونة المادية ، وبانشاء الملاجئ لإيواء أولئك المشردين ، ولكن جهد الحكومة فى هذا السبيل جهد محدود بطبيعة الحال ، ولابد من معاونة الجمعيات الخيرية فى هذا الشأن ، بما تجمعه من تبرعات أهل الخير ، ولكى تضمن الحكومة توجيه هذه التبرعات وجهتها الصحيحة التى جمعت من أجلها ، فقد استصدرت قانونا يجعل لها حق الإشراف على هذه الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية ، ورقابة أموال التبرعات عند جمعها ، والتأكد من صرفها فى وجوه الخير التى أنشئت لتحقيقها ، وترى الحكومة فى علاج مشكلة التشرد أن تستصدر تشريعا ينظم حق الرجل فى تعدد الزوجات ، حيث لا يباح إلا للقادر على النفقة ، أما العاجز عن تكاليف الحياة مع زوجة واحدة، فلا يجوز له فى حق المجتمع أن يجمع بين زوجتين أو أكثر ، ثم تتلقى الحكومة ذراريه فى هيئة المشردين ، وترحم أولاد الأيتام مثلا بأولاده الذين بعث بهم الى الشقاء نتيجة لسوء تصرفه ، أو سوء استعماله لحق التعدد

وكما أن المجتمع مطالب بالعطف على العاجزين من أفراده ، فكذلك يحق لهذا المجتمع أن يحمى نفسه من سوء تصرف ذلك العاجز ، وقد كنت منذ يومين أستمع إلى محاضرة قيمة ألقتها الدكتورة " رث بنج " فى نادى الاتحاد الانجليزى المصرى ، وهى طبيبة انجليزية تناهز الستين من عمرها ، وقد مضت سنوات طوالا فى الهند وفى الحبشة وكرست كل هذه السنين للبحث والاستقصاء عن الأسباب الأصلية فى ارتفاع نسبة الوفيات فى الأطفال وردتها جميعا إلى الفقر والمرض ، ونصحت للمصريين ، نظرا للزيادة المضطردة فى عدد السكان مع ضيق رقعة أرضهم عليهم أن ينشطوا الحركة الصناعية فى بلادهم ، لأنها فى نظرها المنقذ الوحيد لرفع مستوى المعيشة ، والتخلص من مخالب الفقر ، وإنى أومن بسداد رأيها ، ولذلك أهيب بأصحاب الأموال المكدسة فى المصارف بغير فائدة أن يتشهوا على الأقل بأولئك العمال المساكين فى المساهمة بفائض أموالهم فى إنشاء الشركات الصناعية استغلالا لأموالهم وإفساحا لمجال العمل أمام اخوانهم ، وتيسيرا لسبل العيش الشريف للمواطنين الذين ليسوا فى الواقع إلا أعضاء فى جسم هذه الأمة ويجب أن نتألم لألمهم ، ونعمل على رفع مستواهم ، وكفالة الرزق الحلال لهم ، والعيشة الصحية المناسبة لأوساطهم ، وإنى لتهولنى ذكرى مؤلمة لأبناء الصعيد الأقصى أيام سطا عليهم وباء الجامبيا ، ووجد فى أجسامهم النحيلة مرتعا خصبا بسبب ما هم فيه من الفقر وسوء التغذية ، ولولا لطف الله بنا ، لزحف الوباء من أقاصى الصعيد وشمل الوادى برمته ولكن عناية المليك الممدى لهذه الطائفة من رعاياه الأوفياء هى التى حملته فى يوم عيد ميلاده السعيد ، على أن يخاطر بحياته الغالية ، ويسافر إلى تلك الجهات النائية يتفقد بنفسه أحوال شعبه ، ويطمئن على كفاية ما يصرف للمرضى من الغذاء والدواء وضرب بذلك مثلا عاليا للتضحية والرحمة الكريمة ، كما حمل الحكومة على اسعاف سكان قنا وأسوان ، باغاثة مستعجلة ، واستصدرت أمرا عسكريا بوضع حد أدنى لأجور العمال فى هذه المنطقة ضمانا لسد الأرماق ، والاحتفاظ بحياة أولئك المساكين ، ولست أدعو أحدا للمخاطرة بحياته ، ولا للتبرع بماله ، إنما أدعو القادرين إلى المساهمة ببعض ما أفاض الله عليهم ، فى إنشاء المؤسسات الصناعية ، تخفيفا لضغط البطالة والعوز ، بين هذه الطبقات الفقيرة .

واما الجهل فوصمة يندى لها جبين الأمة ، وهو مع الأسف الشديد ، فاش فى الأغلبية الساحقة من سكان هذه البلاد ، ويجب علينا أن نخرج الناس من الظلمات الى النور ، فالفقر والمرض عندى يمكن تجاهل بصلة وثيقة ، ولقد استصدرت الحكومة قانونا بمكافحة الأمية ونشر الثقافة الشعبية ، وبدأت بتنفيذه فعلا فى أول السنة الدراسية الحالية وتصرت تنفيذه فى البداية التجريبية على محافظة القاهرة ومديرية الجيزة ، وهى ترجو أن تتوسع فيه حتى

تزول عن الأمة هذه الوصمة ، وتتخلص من آثار الجهالة ، وحتى يثمر فى الناس بعد تعليمهم القراءة والكتابة ما يلقى عليهم من الارشادات للتعاون مع الحكومة على تخفيف ما يعانونه من فقر ومرض .

والمرض فى مصر من أعصى العلل ، وهو فى أنواعه المستوطنة راجع للفقر والجهل معا ، كالبلهارسيا والانكلستوما ، ولا شك أن ضعف الصحة ونقص القوة الجسدية ، يؤديان الى قلة الانتاج وهكذا دواليك ، يتفاعل الفقر والجهل والمرض ، وتصطلح كلها علينا وتتناقم آثارها فينا ، ولا بد من القضاء على أسباب الأمراض المستوطنة باستئصال شأفتها ولقد أعدت الحكومة لهذا الغرض ضمن برنامج السنوات الخمس مشروعات بعضها وقائى بحت كمنع القوانع ، وردم البرك ، وتوفير المياه الصالحة للشرب ، وبعضها علاجى ، كانشاء المستشفيات المركزية ، والوحدات الصحية القروية ، وإنى لأشيد برأى سديد آخر للطبية الانجليزية " رث ينج " وهو أن إنشاء المستشفيات ، كثير النفقة بالنسبة الى تكاليف الوسائل الوقائية وهى لذلك تنصح بأن يخصص معظم الاعتمادات الصحية ، للتوقى دون العلاج ، وأنه مهما تكاثر المستشفيات بحيث تشمل جميع أرجاء البلاد ، فانها لا تجدى نفعا بقدر ما تجديه الوسائل الوقائية ولست أجهل أثر الارشاد فى المعاونة على نجاح وسائل التوقى ، ولذلك أنشئت المراكز الاجتماعية ، وزود كل منها الى جانب الاخصائى الزراعى ، بطبيب يعالج سكان المنطقة ويرشدهم الى ما يجب عليهم اتقاؤه من الأمراض المختلفة ، كما زود بزائرة صحية تتردد على مساكن القرية لارشاد النساء فيها ، بمثل ما يؤديه الطبيب للرجال ومما يتصل بموضوع تحسين الصحة العامة فى المدن والريف على السواء ، تشجيع الرياضات المختلفة وفى الوزارة إدارة مختصة ، للاشراف على هذا النشاط ، تتبعها ساحات رياضية فى كل عواصم المديريات وأرجو أن يزيد عددها بحيث تشمل جميع المراكز والقرى فى بلاد القطر جميعها لأنى مؤمن بفائدة الرياضة فى تصحيح الأبدان وتقويم الأخلاق ، وخلق جيل قوى يكون بانتاجه وعلمه وصحته ، أسعد حظا مما كنا ، وأقدر على احلال مصر محلها اللائق بها بين الأمم .

ومن بين ما تتوسل به الحكومة فى محاربة مشاكلنا الاجتماعية فى الريف ، تشجيع الجمعيات التعاونية الزراعية ، وإمدادها بالسلف اللازمة لها من البنك التعاونى المزمع انشاؤه لتمكينها من استعمال الآلات الزراعية الحديثة ، وتخفيض تكاليف الانتاج وزيادة غلة الأرض ، وبيع المحصولات بالأسعار المناسبة واستحداث الصناعات المتصلة بالمنتجات الزراعية ، والحيوانية ، واستغلال أوقات الفراغ فيما يعود على أبناء الريف بالنفع العميم وإنى لأؤمل خيرا كثيرا من وراء تنشيط الحركة التعاونية فى البلاد ، وقد أنشأت مجلسا أعلى للتعاون ، نشأت معه مجالس فرعية فى عواصم المديريات ، وشرع فى تكوين الاتحادات

المركزية التى تضم الجمعيات العديدة المنتشرة فى القرى ، وأؤمل عما قريب أن يتم وضع شبكة الرقابة الحسابية على أعمال هذه الجمعيات ، بحيث تزول شكوى المساهمين فيها ، وتعود اليهم الثقة الكاملة فى حسن تصرف مجالس الادارة ، وتحقيق المزايا والآمال المعقودة على نظام التعاون ، وقد أوفدت بالاتفاق مع الاتحاد التعاونى ، لمدينة القاهرة فى شهر يوليه الماضى بعثة من ذوى الخبرة فى شؤون التعاون ، الى فلسطين وسوريا ولبنان ، للوقوف على مدى نجاح الجمعيات التعاونية المختلفة الأنواع ، فى تلك الأقطار الشقيقة ، واقتباس ما يلائمنا من أنظمتها ، وقد تلقيت تقرير هذه البعثة وتصفحته ، فبهرتنى النتائج السريعة لأعمال تلك الجمعيات الناجحة ، وإنى لأرجو أن يتحقق لجمعياتنا فى القريب العاجل مثل ذلك النجاح الباهر الذى أحرزه التعاون فى البلاد المجاورة .

وإنى بعد أن استعرضت أهم مشاكلنا الاجتماعية ، وعرضت بعض ما اتخذته الحكومة الى الآن من وسائل علاجها ، أكرر ندائى الى الحاضرين منكم ، والى الغائبين الذين تكفل المذياع بترديد صوتى بينهم ، بتعاون الجميع مع الحكومة على تحقيق العدالة الاجتماعية التى أعتقد أن أول خطوة فى سبيلها كانت بانشاء وزارة الشؤون الاجتماعية ، وإن أصدق وصف لهذه العدالة هو ما أجمله جلالة مولانا الملك المفدى فى ندائه الى شعبه لمناسبة أول شهر رمضان المعظم ، وهو ضمان حق الفقير فى أن يعيش ، وحق المريض فى أن يصح ، وحق الجاهل فى أن يتعلم ، وحق الخائف فى أن يطمئن .

أيها السادة :

ألا إن الفقر والجهل والمرض ، هو المحور الذى تدور حوله كل مشاكلنا ، ويجب علينا أن نحشد لمحاربتها جميع قوانا لتخليص الشعب البائس ، من هذا الأخطبوط المشؤوم ولا يمكن أن تكفى جهود الحكومة وحدها ، بل لا بد من تضافر كل الطبقات معها فى إحراز النصر على هذه الآفات الثلاث ، ومهما يكن تعقد هذه المشاكل ، وتراكم آثارها مع السنين وطول الثقة فى حلها ، فيجب أن لا يحملنا اليأس على الاحجام ، فما على العزمات من مستحيل .

أتذكرون معى أيام العالمين ، وكيف كان المراسلون الحربيون ، يصفون المعركة التى دارت هناك ، بأنها كانت فى بدايتها معركة مائعة ، ولم أكن فى ذلك الوقت ، أفهم على التدقيق ، مرادهم من وصفها بالميوعة ، فلما وليت وزارة الشؤون الاجتماعية ، وتراءت أمامى هذه المشاكل ، أدركت معناها ، وكذلك الآن حالى ، وكما كانت معركة العالمين بداية التحول فى هذه الحرب ، وباكورة انتصار الحلفاء ، إلى أن تم لهم دحر المحور فى عقر داره ، إنى أؤمل أن يكون اجتماعكم اليوم ، تمهيدا لشن الغارة على الفقر والجهل والمرض ، وإنى لواثق من النصر ، مادام الفاروق العظيم يقودنا ، والله يهدينا وإنه لنعم المولى ونعم النصير .

تطور الاتجاه العالمى

نحو وحدة عالمية

لحضرة صاحب السعادة حافظ رمضان باشا

نص المحاضرة التى ألقاها سعادته فى الساعة السادسة من مساء يوم الجمعة ٩ نوفمبر بالقاعة الشرقية فى افتتاح الموسم الثقافى الذى نظمه قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية .

سيداتى ، سادتى

دعانى قسم الخدمة العامة الى أن أفتتح موسمه الثقافى هذا العام عن تطور الاتجاه نحو وحدة عالمية وانى لأشكر القائمين بالأمر فيه هذه الدعوة وأتقبل بالسرور أن أساهم بنصيب فى نشر الثقافة العامة فى مصر . كما أنه مما يغبطنى أن المعاهد العلمية والدوائر السياسية فى هذه الأيام تبدى اهتمامها بدراسة مصير العالم من حيث ارتباطه بعضه ببعض ، فان الله قد بعث أرواحنا فى هـذه الحياة كشعلات مضيئة تنمو بالمعرفة وتزداد نورا بالتضامن ، وقد وضع فى قلوبنـا بذور السعادة فلا محل لأن ننتزعها بالحرمان والتفكك ، بل يجب أن ندعو دائمـا الى الحقائق العلمية .

إن السلام العام لا يتم بترك الأمور تجرى فى طريقها ، فحوادث العالم وتاريخها وطبيعتها كلها تحملنا على القول بأن نار الحروب لن تخمد ولكن جهود التخريب يمكن مغالبتها بالعمل على تحويل وجهة الحوادث وهذه المهمة تقع اليوم على عاتق الشعوب أكثر من غيرها وهو أمر يتوقف على إرادتها الإجماعية ، وهذه الإرادة لا بد أن توجه مجرى الحوادث الى طريق وحدة عالمية للأمن والسلام .

ولا ريب أن التطور الذى نشاهده اليوم نحو هذه الوحدة ليس وليد هذه الحرب ، بل قد بدأ منذ أواخر القرن الثامن عشر عندما اخترعت الآلات الصناعية وانتشرت فى مناطق الفحم والحديد فتوجهت جهود الشعوب الى ميدان الصناعة والاقتصاد ، وبدأ العالم يتجه نحو وحدة اقتصادية ، واذا كان أساطين السياسة قد جهلوا أو تجاهلوا هذا التطور منـذ بدايته مدفوعين بأغراض سياسية ، فانهم اليوم يجهرون به و يعملون لتنظم العالم تبعا لمقتضياته .

واذا كان مفهوما أيها السادة فيما مضى مع تباعد الأمم وعزلتها أن يقوم للوطنية المبنية على وحدة الجنس واللغة وحدها قائمة ، فقد أصبحت حالة شعوب العـالم اليوم مرتبطة ببعضهـا البعض وأصبح القول بغير ذلك ضربا من الأثرة يرضى به كبار الساسة خيلاءهم ،

ولا عجب فالعالم يتطور قطعا نحو وحدة عالمية، إذ قد ارتبطت أجزاؤها كلها برباط وثيق وأصبح ما يصيب أدناه يشعر به أقصاه شعورا ليس مبناه العاطفة وحدها وإنما أساسه المنفعة، فما أحرى الناس أن يكونوا جميعا فى الانسانية اخوانا يتمازالتصالح بعامه وعمامه لا التقوى ببطشه وجبروته، وهى كلمة قالها الله تعالى على لسان نبيه " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " وهكذا قالها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ولم يجعل لعربى فضلا على من عداهم من الأمم بل سوى بين الجميع وجعل الأفضلية للتقوى وللعمل التصالح المفيد .

سادتى :

قبل أن أتحدث إليكم عن أثر الواقع فى تطور العالم اليوم نحو وحدة عالمية يجدر بى أن أضع أمام أنظاركم صورة من هذا التطور فى القرن التاسع عشر، فأروى لكم ما تحدث به مستر كارول رايت الذى كان مديرا لمكتب العمل بالولايات المتحدة فى أحد تقاريره من أنه كان يوجد صانع مسامير يدعى يوناتام فى ولاية مساتشوسيت، وقد رأى فى منامه فى ليلة من ليالى عام ١٨١٣ شبحا يطلب اليه أن يرفع أجور عماله بما يوازى النصف وأن يخفض ثمن مبيعاته بما يوازى الثلث تقريبا فعجب يوناتام قائلا بأنه بهذا يسير نحو افلاس محقق ولكن الشبح أخبره أن أرباحه ستتضاعف أضعافا مضاعفة واستيقظ يوناتام من رؤياه منزعجا وهو يعجب لهذا الأمر ولما يمض وقت طويل حتى قدم اليه بعض المهندسين بآلة صناعية تدار بالبخار لعمل المسامير وما استخدمها يوناتام حتى تضاعف انتاجه ونقصت أثمانه واتسعت تجارته وكثرت أرباحه وأصبح هو واحفاده من أغنياء أمريكا .

يؤكد المستر كارول أيضا أن هذه الرؤيا لم تكن خيالا وانما كانت حقيقة واقعة إذ أنه أجرى تحقيقا دعمه بالاسانيد والأرقام فيما انتجته الآلة البخاريه التى استخدمها يوناتام من نتائج يستخلص منها أنه مع تضاعف أجور العمال قد تضاعفت أرباح التجار وتحقق للمستهلكين وفر كبير فى أثمان المبيعات وكذلك تحققت رؤيا يوناتام التى كانت فى ظاهرها حلما من الأحلام .

أيها السادة .

إن اختراع الآلة الصناعية يدل على مبلغ التطور الذى حدث للعالم ويؤيد أن صاحب العمل والعامل والمستهلك جعلهم جميعا يستفيدون وكانوا قبل ان توجد خصوما لا ينتفع أحدهم إلا على حساب الآخرين .

هذا هو حادث يوناتام عندما استعمل الآلة الصناعية وتذكرون بجانبه ما كان من أمر الزعيم غاندى فى الهند إذ دعا منذ سنوات الى العودة لاستعمال مغزل القرون الوسطى فلم تصب طريقته النجاح فى مزاحمة الآلة الصناعية فاصطر الهنود بعدها الى استخدام الآلات للغزل والنسيج .

ذلك أيها السادة لأن الحياة فى هذا العصر غيرها فى عهد القرون الوسطى ولأن الآلات الصناعية حلت محل الأعمال اليدوية بسبب سرعة انتاجها وقلة تكاليفها .

ويظهر من هذين الحادثين أن الآلة الصناعية جعلت من حلم يوناتام حقيقة ومن حقيقة غاندى حلما لم يتحقق والواقع أنه منذ اخترعت الآلة وسخرت لخدمة الانسان احدثت انقلابا كبيرا فى حياة الشعوب والأمم اقتصاديا واجتماعيا بل وسياسيا واذا كان هذا الانقلاب لم يتخذ شكلا ظاهرا منذ قرن كما هو واضح لنا الآن فما ذلك إلا لأن هذا التطور لم يحدث طفرة ولأن ارتباط الشعوب اقتصاديا كان متمشيا مع انتشار الآلات وتحسينها تدريجيا وتخصص كل بلد بما اعتادت صناعته .

واليكم ما حدث فى انجلترا مثلا عند ما استخدم رجال الصناعة آلة الغزل التى اخترعها هارجريفز فى منتصف القرن الثامن عشر فانهم لم يفكروا أصلا فى غير أرباحهم ولم يخطر ببالهم أنهم سيحدثون انقلابا عظيما فى حياة الأفراد وفى علاقات الدول إذ أن الواقع ان انتشار صناعة الأقمشة الصوفية والأجواخ فى انجلترا فتحت أمام نشاطها آفاقا جديدة فاوجدت لها أسواقا عالمية جعلت مقادير الصوف الخام من الخراف الانكليزية غير كافية لسد حاجات تلك الأسواق الكبيرة فولت الصناعة وجهتها شطر استراليا والارجنتين وغيرهما لتستورد منها الأصواف فانتعشت بهذا تربية الأغنام فى تلك البلاد النائية واصبحت فى انجلترا قاصرة على تحسين النسل وبهذا اختصت انجلترا بالغزل والنسيج واختصت استراليا والارجنتين بتربية المواشى حتى قيل إن أجر جز الصوف فى استراليا يوازى ثمنه وان قطعة القماش من الجوخ المصنوع فى انجلترا من صوف استراليا أقل ثمنا فى سدنى باستراليا من مثلها المصنوعة فى استراليا نفسها ، ذلك لأن كلا البلدين أصبح مع مرور الزمن اختصاصيا فى عمله لا يستطيع الاخر أن يزاحمه فيه .

وكان الحال كذلك فى الأقمشة القطنية فمنذ عرف أن المناخ الرطب فى منشستر صالح لغزل ونسج الموسلين ونحن نشهد إقامة الأنوال فى انكلترا وأمريكا وغيرها كما نشهد زراعة القطن فى المساحات الواسعة فى دلتا المسيسبى ودلتا النيل وغيرهما .

وكل ما قيل بصدد الصوف والقطن يقال بالنسبة لباقى المصنوعات من آلات حتى المواد الغذائية وغيرها .

هذا ولا ريب أن نقل المواد الأولية من الأقطار البعيدة الى الأقطار الصناعية ثم توزيعها مصنوعة الى البلاد الأخرى يقتضى تحسين طرق المواصلات البحرية والبرية ولهذا نرى منذ منتصف القرن التاسع عشر بناء السفن البخارية فضلا عن مد خطوط السكك الحديدية والخطوط التلغرافية كما نرون العمل على تحسين طرق المواصلات الجوية والوصول بها الى أوجها كل هذا جعل الكرة الأرضية معروفة اليوم بسكانها ومعادنها وحاصلاتها فاذا بسطنا خريطة جغرافية رسمت قبل اختراع الآلات وجدنا مساحات واسعة مؤشر عليها بما يدل على أنها مجهولة لنا كحوض الأمازون ووسط أفريقيا وأستراليا نفسها . أما اليوم فقد اكتشفت الأرض بجميع ما تملك وعمل على استغلال كل ما بها ، بل وأصبحت بلاد العالم مرتبطة ببعضها البعض وتأثر بعض الأمكنة بما يحدث فى الأخرى .

فاذا ما ظهرت دودة القطن فى مصر أو نزل الصقيع على محصول بأمريكا أو حدث اضراب العمال فى المصانع الانجليزية هبطت أسهم شركات النسيج أو تقصت أثمان الصوف تبعا لهذا .

كذلك اذا ما حصل اضطراب فى وسائل النقل اضطربت حياة الشعوب والأمم فقد رأينا كندا فى الحرب الماضية تستخدم القمح كوقود لأفرانها ، بينما كانت شعوب أوروبا لا تجد الخبز بغير البطاقات وبشق الأنفس .

والخلاصة من هذا كله أن التطور الصناعى خلق أسواقا عالمية سواء لأجل استيراد المواد الأولية أو لتصريف المنتجات الصناعية وأن هذه الحالة تقتضى طبعا المزاحمة الأجنبية فلا يتسنى بسبب هذا الترابط الاقتصادى لأية أمة أن تستهلك وحدها كل محصولاتها أو كل منتجاتها فهى مضطرة أن تبحث عن أسواق للفائض عن حاجاتها وتتخذ لهذا الغرض إجراءات داخلية تأخذ شكل الحواجز الجمركية وإجراءات تأخذ شكل المعاهدات التجارية فى صيغة " أولى الدول بالمراعاة " فاذا ما تصادمت مصلحة دولتين فى كل هذه الميادين قامت بينهما حرب تجر وراءها بسبب الترابط الاقتصادى العالمى حربا عالمية .

ولقد شهدنا فى مدى جيل واحد حربين عالميتين وعرفنا الفروق بين هذا النوع من الحرب والحروب الأخرى فنى العهود السابقة كانت الحرب موضعية تقع بين بلدين أو أكثر ولكنها لم تكن لتتعدى الجيوش المحاربة وكانت تبتدئ وتنتهى دون أن يشعر باقى الأهالى المدنيين الآمنين بأهوالها بل كانت أشبه شىء بعملية جراحية تلتئم جروحها سريعا فى موضعها لتعود الحياة العادية كما كانت من قبل .

أما الحروب العالمية اليوم فهى حروب تجند من أجلها الشعوب فيرسل الشبان إلى ميادين القتال والشيوخ الى مصانع الأسلحة والعتاد والنساء الى المزارع والمستشفيات كذلك تجمع من أجلها القوات الزراعية والصناعية والمدنية والمالية وفوق ذلك فان ويلاتها وأهوالها تمتد من ساحة الوغى الى ما وراء خطوط القتال فتخرب المصانع وتهدم المساكن وتدمر الطرق والجسور وتغرق البواخر وتقطع المواصلات البرية والبحرية كما تزهق أرواح الأبرياء من النساء والأطفال ثم تعقبها بعد انتهائها الثورات السياسية والأزمات الاقتصادية .

سادتى :

لقد احتمل العالم هذه الويلات زهاء أربع سنوات فى حرب سنة ١٩١٤ وست سنوات فى الحرب الأخيرة ، فاذا كانت المدينة الحاضرة لم تندثر معالمها واذا صح أن يكون ذلك دليلا على مالتلك المدنية الصناعية من قوة المقاومة إزاء هذا التدمير والتخريب فقد صح كذلك وجود عيوب فى نظام العالم الحاضره الذى لم يستطيع أن يتفادى فى مدى جيل واحد حربين عالميين من هذا النوع فى التدمير والتخريب الذى لامثيل له فى تاريخ الانسانية وفى يقيننا أن هذه الحال لن تتغير وأن احتكاك الدول لن يتبدل مالم نعمل على أن ندخل فى نظام حياتنا العامة وعلاقتنا الاقتصادية مايضمن لنا الاستقرار والاطمئنان .

ولا ريب أن كل شىء فى هذا الوجود يولد ثم ينمو ويشب ثم يكبر ويهرم فيموت لذلك كان نظام الحكم وعلاقة الدول ببعضها من أكثر الأمور تطورا لا فى المظاهر والشكلية بل فى جوهر الأمور وكيانها فان الخمسة والعشرين قرنا الماضية من تاريخ الانسانية تشهد بأن نظام العالم قد انتقل من حكم أقوى العائلات الى نظام الجمهوريات اليونانية القديمة الى محاولة ايجاد الامبراطوريات العالمية فى عهد الاسكندر والدولة الرومانية الى نظام الاقطاع فى القرون الوسطى الى نظام الملكية المطلقة الى الديموقراطية الحاضرة .

إن هذا التطور الدائم فى نظام الحكم جاء تبعا لتطور الحياة الاجتماعية والسياسة فى تلك الأزمان الماضية .

كما لاريب عندنا بأن العالم فى وقتنا الحاضر وهو تحت تأثير الاكتشافات العلمية واختراع الآلات الصناعية واتقان طرق المواصلات بين أجزاء العالم قد تطور تطورا خطيرا من شأنه أن جعل جميع الشعوب والأمم التى وصلت الى درجة ما من المدنية مرتبطة ببعضها ارتباطا اقتصادية فلا يسع شعبا من الشعوب أن يستكفى وحده بكافة حاجاته من المأكل والملبس وغيرهما بل هو فى حاجة الى تصدير الفائض ويجانب هذا فان العلاقات بين الدول كانت تتطور حتى أخذت شكل القانون الدولى الذى كان يتطور هو كذلك تبعا لمقتضيات الظروف بعد كل نزاع .

فلما نشبت الحرب العالمية الأولى واضطربت المواصلات بين الدول والشعوب شعر سكان العالم جميعا بما أصابهم من الضيق والعوز فى مأكلهم وملبسهم وسائر حاجياتهم وظهر لكل انسان أن شعوب العالم مرتبطة وانها تتبادل الحاجيات بحكم الترابط الاقتصادى الذى نشأ بسبب اختراع الآلات الصناعية وسهولة المواصلات وفى هذا الوقت الذى كان فيه العالم يرسل كل ماعنده من الاحتياطى من الرجال والعتاد فى أتون الحرب ثبت عند الرئيس ولسون تفكير جديد بضرورة التعاون بين الشعوب فبعث فى ٨ يناير سنة ١٩١٨ برسالة الى الكونجرس الامريكى تتضمن شروط الصلح التى قضى فيها على كل فكرة فى تقسيم الغنائم أو فرض الغرامات أو ضم المستعمرات أو غير ذلك مما كان معروفا قبل هذه الحرب كما أشار الى إلغاء الحواجز الجمركية وتقرير حرية التجارة وحرية البحار وحق الأمم فى تقرير مصيرها ووضع نظام دولى فى صورة عصبة للأمم لفض كل خلاف .

واذا كان ناقدو الرئيس ولسون قالوا عنه إنه خيالى فاننا نعتقد أنه أول من جرأ أن يعلن حقيقة التطور فى العالم الذى أصبح وحدة اقتصادية عالمية والذى يجب أن يكون نظامه على أساس من التعاون المتبادل لا السيطرة والسيادة وإن كل خطأ الرئيس ولسون، إن كان هناك خطأ آت من أنه فهم حقيقة الواقع بينما كان غيره لا يزال معتصما بأهداف النظم القديمة والتى أصبحت لا تلائم تطور العالم فى الوقت الحاضر .

وعلى أى حال فاذا كانت عصبة الأمم وهى وليدة الحرب الماضية قد قيدت بقيود جعلتها عديمة الجدوى فانها كانت أشبه شىء ببذور ألقيت على أرض بكر لابد أن تثمر عاجلا أو آجلا ففى عام ١٩١٩ انتهز بعض رجال العمل فى أمريكا اتصالهم برجال الأعمال من الانكليز والفرنسيين والايطاليين وغيرهم واتفقوا على إنشاء غرفة تجارية دولية كذلك أدخل فى معاهدة فرساى فى الباب الثالث عشر نظام إنشاء مكتب العمل الدولى .

ولا ريب أن هاتين المنشأتين وهما تبحثان عن العلاقات التجارية بين الدول وعن نظام العمل وقوانين العمال فى جميع البلاد مع ما فيها من نقص وعيوب إنما هما على أى حال دليل قاطع على التطور الذى حدث بعد الحرب العالمية الأولى نحو الوحدة الاقتصادية العالمية.

غير أن هذا الاتجاه نحو الوحدة العالمية قد ظهر بوضوح أثناء وبعد الحرب العالمية الأخيرة فلقد شاهدنا والحرب الأخيرة ناشبة أظفارها أن المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية والمستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا يصدران ميثاق الاطلانطى فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤١ ونقرأ فى البند الرابع والخامس منه أنهما سيجتهدان فى تمتع كافة الدول كبيرة كانت أو صغيرة غالبة أو مغلوبة فى الحصول على التجارة والمواد الخام العالمية اللازمة لرخائها الاقتصادى وانهما يرغبان فى تحقيق أتم التعاون بين كافة الأمم

فى الميادين الاقتصادية وذلك بغيـة ضمـان الوصول الى مستوى أفضل فى العمل والتقدم الاقتصادى والأمن الاجتماعى وانهما يأملان فى وضع سـلم يمكن جميع الشعوب من الحياة فى مأمن داخل حدودها و يبعث الطمأنينة لكافة النـاس فى العالم أجمع حتى يعيشون عيشة راضية بعيدة عن الخوف والعوز ومن الميثاق الاطلانطى هـــذا يمكننا أن نستنتج أمرين جديرين بالعناية أولهما : إن مهمة الحكومات قد تخطت واجباتهـا المعروفة من قبـل إلى واجبات جديدة وهى العمل على أن يعيش الناس بغـير خوف ولا عوز ومن هنا ظهرت الحريات الأربع . وثانيهما ان ميثاق الاطلانطى الذى انضم اليه بعـد ذلك الأمم المتحدة الأخرى دليل آخر على تطور الاتجاه نحو الوحدة الاقتصادية العالمية. وان الواجب أن يوضع للعالم نظام يحقق التعاون بين كافة الأمم فى الميادين الاقتصادية .

و إننا نشاهد كذلك غير هذا الميثاق مؤتمرات دولية تجتمع بين آن وآخر وكلها ترمى الى التعاون العالمى بين جميع الشعوب فى نواح مختلفة من الحياة العـامة كمؤتمر التغذية ومؤتمر النقد وغيرهما وكلها تدل على اتجاه الفكر دائمـا نحو الوحدة العالمية ومن الدلائل على هـذا التطور والتوجيه نحو اعتبار العالم وحدة لا انفصام لها مشروع التعمير للأمم المتحدة والذى أنشأ إدارة من تلك الأمم ترمى إلى تنظيم أعمال المساعدة والتعمير التى تسدى الى البلاد التى تخربت بسبب الحرب الأخيرة

ويحسن بى فى هذا المقام أن أشير إلى ما صرح به المغفور له الرئيس روزفلت فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٠ أمام الصحفيين حيث قال ما معناه : افرضوا أن النار اشتعلت فى منزل جارى و إنى أملك طلمبة ماء يمكنى استخدامها فى إطفاء هذا الحريق فإن واجبى الأول أن أعطى تلك الطلمبة فى الحال دون أن أساوم هذا الجار فيما يدفعه لى من ثمن أو أجرة لأن تلك المساومة ليست هى أساس واجبى و إنمـا أساس واجبى أن أتعاون مع جارى فى إطفاء هذا الحريق .

ضرب المغفور له الرئيس روزفلت هذا المثل عند وضع قانون الإعارة والتأجير و إذا كان الغرض من هذا القانون هو الوصول إلى النصر النهائى فإن المثل الذى ضرب من أجله يدل على رابطة المصالح وعلى ضرورة التعاون حتى لا تمتد النار من جار إلى جار، فإذا صح هذا بالنسبة لأفراد الجيران المقيمين فى قرية واحدة أو مدينة واحدة أفلا يكون الأجدر بالدول والممـالك أن يوجد بينهم هذا التعاون وقد ارتبطت مصالحهم الاقتصادية وأصبح كل منهم لا يستطيع الاستغناء عن غيره بسبب الرابط الاقتصادى الذى جاء تبعا للتخصص فى كل منها.

هذا التطور الذى حدث فى الإنسانية منذ أكثر من قرن من الزمان بسبب تقدم العلم واختراع الآلات .

إن قادة الشعوب والأمم يدركون اليوم حقيقة التطور الذى وصل إليه العالم فى عصرنا الحاضر وأنهم يعملون لإيجاد أداة دولية تستخدم فى ترقية الشئون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها وإنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحروب وأن تعيش جميع الأمم فى سلام وحسن جوار ولقد ساعد على توجيه هذا التفكير ما قاساه العالم من الويلات فى الحرب الأخيرة وما قد يقاسيه فى المستقبل من الأهوال بسبب ما اكتشفه العالم من آلات التخريب والتدمير كالقنبلة الذرية وما سيكتشفه فى المستقبل من أشعة الموت وغيرها .

وها هو آخر تصريح جديد للرئيس ترومان يذيعه على الملأ بالراديو فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٥ من واشنجتون ويبين فيه تفصيل القواعد التى تقوم عليها السياسة الخارجية للولايات المتحدة فيقول إننا لن نوافق على أية تغييرات أو تعديلات إقليمية فى أى مكان فى العالم تربطها به علاقات ودية إلا إذا كانت هذه التغييرات مطابقة لرغبات الشعوب التى يهمها الأمر وإننا نعتقد أن من حق جميع الشعوب المستعدة للحكم الذاتى أن يسمح لها بأن تختار بحرية نظام الحكم فيها، وهذا ينطبق على أوروبا وآسيا وأفريقيا مثل ما ينطبق على نصف الكرة الغربى، وإننا نؤمن بأن من حق الأمم كافة التمتع بحرية البحار وأن جميع الأمم متساوية فى الانتجاز والحصول على ما فى العالم من مواد أولية وأننا نعتقد أن التعاون الاقتصادى الكامل بين جميع الأمم كبيرها وصغيرها ضرورى للنهوض بأوضاع المعيشة فى أرجاء العالم كافة ولتحقيق التحرر من الخوف والعوز والفاقة وإننا نعزز حرية القول والرأى وحرية العبادة فى كافة البلاد وأننا مقتنعون بأن صيانة السلم بين الأمم تستلزم وجود هيئة للأمم المتحدة لها أن تستخدم القوة عند الاقتضاء لتستخلص السلم .

ولا ريب أن أقوال الرئيس ترومان هو توجيه لتاريخ الإنسانية كما لا ريب عندنا أن جميع الأحداث العالمية تدلنا على اتجاه الفكر الإنسانى نحو توطيد العلاقات الطيبة نحو الوحدة العالمية كما نعتقد أنه لا يعوق هذا التفكير والتوجيه غير ما تأصل فى النفوس وتركز فى العقول من النظم البالية المؤسسة على الأنانية والمزاحمة بين أمم العالم قبل أن تقوى الروابط بينها وقبل أن يتم تطور هذا الترابط الاقتصادى الحاضر .

لهذا نرى الانسانية اليوم فى مفترق الطريق بين النظم القديمة والتطور الحديث فى حياة الأمم.

وكذلك نرى بعض العيوب فى ميثاق الأمم المتحدة الذى تم وضعه فى سان فرنسسكو بتاريخ ٢٦ يونيه سنة ١٩٤٥ وهكذا العدل الدولية . غير أن هذه العيوب لا تحجب عنا إدراك الخطوات الواسعة فى توجيه الدول المتساندة نحو الوحدة العالمية وضرورة تأمين الشعوب وسلامتها .

ويجمل بى قبل أن أترك هذا المنبر أن أشير إلى أنى لم أقصد بتوجيه الفكر نحو الوحدة الاقتصادية العالمية الرغبة فى إيجاد امبراطورية عالمية لأن تاريخ العالم يشهد بفشل كل محاولة نحو هذا الاتجاه فلم تنجح محاولة الاسكندر ولا الدولة الرومانية فى إنشاء تلك الامبراطورية العالمية فلكل شعب ثقافته ولغته وتاريخه و إنما قصدنا بالترابط الاقتصادى أن نضع حدا بين السياسة والاقتصاد فلكل شعب أن يختار شكل حكومته ولكنه يكون عضوا فى النظام الدولى الذى يوضع على أساس أن العالم من تلك الناحية وحدة اقتصادية اجتماعية يجب أن توضع لها أدق لفض مشاكلها دون الالتجاء إلى القسر والقهر حتى يتم لسكان الأرض جميعا السعادة والرفاهية فى ظل التعاون بين الشعوب اقتصاديا وماليا واجتماعيا . كما يجب أن نوجه جهودنا الفردية والجماعية ومشروعاتها نحو غاية واحدة هى الحياة القومية — فلا تقصر هذه الجهود على نيل الحرية الخارجية بل ترمى الى تحرير أفراد الأمة من القيود الداخلية وتوفير أكبر قسط من السعادة لها و إكمال حياة الأفراد فى حدود العدل والنظام وأن يرتفع الناس بنفوسهم و يتغلبوا على شهواتهم لتزدهر الحضارة بسمو غاياتها والسلام .

عرفت الليالى قبلها صنعت بنا فلما دهتنى لم تزدنى بها علما

" المتنبى "

الحـــــظ *

للأستاذ زكى المهندس
عميد كلية دار العلوم

سيداتى . سادتى :

الحظ والجد والسعد والنحس كلمات يتداولها الناس فيما بينهم فى كل زمان ومكان ، فالناس جميعا يؤمنون بالحظ ويتمنونه وأنا كذلك أومن بالحظ وأتمناه ولكن دائرة الحظ عندى دائرة ضيقة محدودة لا تتجاوز تلك الظروف والأحداث التى لا سلطان لى عليها ولا قبل لى بتغييرها .

فلا شك أن فى حياة كل منا تقع أمور وأحداث يخيل إليه أنها تجرى على غير قياس وتشذ عن كل قاعدة . وهى تؤثر فى حياتنا فتجلب لنا خيرا أو تدفع عنا شرا أو تحرمنا ما نشتهى أو تسوق الينا ما نكره .

فطالب يموت عائله وشوفى منتصف المرحلة الدراسية فتضطره ظروف العيش وتكاليف الحياة إلى الانقطاع عن دراسته ليعول نفسه وأسرته . ورجل معدم يساق اليه على غير انتظار ميراث من قريب موسر يموت ولا وارث له سواه . وفلاح ما يكاد يزدهر زرعه ويؤتى ثمره حتى تهطل عليه الأمطار فتفسد من محصوله وتضيع عليه جهوده . ورجل فقير يرشح الجائزة الأولى فى سباق الدربى أو المؤاساة أو مبرة محمد على الكبير فيصبح بين عشية وضحاها من ذوى الجاه واليسار ، وموظف من ذوى الكفاية لا يكاد يرشح للترقية إلى وظيفة يحرص عليها حتى تستقيل الوزارة فيظل على حاله بضع سنوات أخرى .

هذه الحالات وأشباهها قد تقع لنا أو تجرى حولنا ويرأى منا من غير أن يكون لنا يد فيها أو طاقة على اجتذابها الينا أو دفعها عنا . فما كنا لندفع موتا أو نمنع مطرا أو نرد قضاء أو نكيف الأحداث السياسية على ما نشتهى ونحب ، هذا هو ما يجب أن نسميه بالحظ أو الجد أو القدر أو ماشئتم أن تسموه .

وما يقع للأفراد من هـذا قد يقع للأمم ، فإن للأمم — كما للأفراد — حظوظها وجدودها ، وفى التاريخ القديم والحديث أحداث من هذا النوع طبيعية وسياسية قد غيرت وجه العالم وحولت مجرى التاريخ .

---

* أذيعت فى البرنامج الثقافى لوزارة الشئون الاجتماعية يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٥

وعلى هذا يجب أن ندرك أن الحوادث التي يلعب فيها الحظ دوره ليست الا حوادث محدودة — لاقدرة لنا عن توجيهها أو التأثير فيها . هي تلك الحوادث التي تعد في حياتنا نوادر ومستثنيات أو شواذ لا يمكن الاعتماد عليها ولا يجوز أن نتخذ منها قاعدة لأعمالنا وحياتنا . فماذا يكون مصير الرجل الفقير إذا قعد عن العمل انتظارا لميراث قد يهبط عليه من السماء أو كنز مخبوء يقفز اليه من جوف الأرض ؟ وماذا تكون نهاية الطالب الذي يهمل في دروسه توقعا للنجاح عن طريق البعادة والحظ ؟ وأي مستقبل لموظف — أيا كانت كفايته العلمية — إذا أهمل في عمله ترقبا لقيام وزارة يكون له فيها عضد وظهير ؟

انما الجهلة من الناس هم الذين يغلون في معنى الحظ حتى لينسبون كل أمر في حياتهم إلى قوة خفية عليهم خارجة عنهم فهم يؤمنون بأن نجاح المرء أو فشله يرجع حتما إلى حظه الباسم أو جده العاثر وهم يحاولون أن يبرهنوا لك على صدق اعتقادهم بحوادث وقصص هي من نسج خيالهم أو مما يسيئون فهمه وتأويله .

هؤلاء هم الجهلة المغرورون الذين يحاولون أن يخفوا عيوبهم ونقائصهم تحت ثياب تلك الفتاة المعصوبة العينين التي تصيب من تشاء وتخطىء من تشاء بغير حساب .

إن فهم الحظ على هذه الصورة من شأنه أن يفتك بنشاطنا ويحطم من عزائمنا . إن الحياة الانسانية منطقية أكثر مما نتصور . ف حياة المرء ليست مجموعة من الحظوظ والمصادفات تجرى على غير نظام وتشذ على كل قانون . بل أنها — ككل شيء في الوجود — خاضعة لنظام ثابت وتواميس مقررة . أجل أن حياتنا من صنع أيدينا أنها مجموع أعمالنا وأفكارنا وعواطفنا . أننا نستطيع أن ندبر حياتنا على ما نشتهي ونكيفها على ما نحب ، ولسنا مرتبطين في هذا بطلسم أو قوة خفية لا ندركها أفهامنا وانما نحن الذين يحملون تلك العصا السحرية نخلق بها دنيانا كما نريد أن تكون . أن سعادتنا أو شقاءنا ليست في الكواكب صعودها ونحوسها وانما هي فينا ومنا وإلينا فالنشاط والجد والعزم والمثابرة والجلد هي سر النجاح وأضدادها هي علة الفشل .

هل منا من يرتاب في أن النار تحرقنا إذا لمسناها ، وأن البكين يجرحنا إذا جربناه في جسومنا ، وإنا في الغذاء الصالح استدامة للصحة ومبعثا للقوة ، وأن الهواء ضروري لحياتنا ، وأن الكهرباء تولد الضوء والحرارة وأن الشمس والقمر يجريان على نظام ثابت مطرد لا يشذ ولا يتخلف "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون" فاذا لم يداخلنا الريب في هذه الظواهر فماذا يريبنا في أن تكون أعمال المرء وسلوكه خاضعة كذلك لقانون مطرد ثابت ؟

حقا ، أيتها السيدات والسادة — أن حياة المرء الأدبية خاضعة — ككل شيء — لقانون العلة والمعلول والسبب والمسبب وأن نجاح المرء أو فشله هو كصحته أو مرضه، له أسبابه وعلله وأن قولنا (النجاح وليد العمل والفشل حليف الكسل) هو حكم أدبي ولكنه لا يقل فى قوته وصدقه وشموله عن قولنا (الحرارة تمدد المعادن) .

إن صفاتنا الأدبية هى كل شيء فى الحياة فاذا ضعفت هـذه الصفات أو انتسخت فلا رجاء فى حاضر ولا أمل فى مستقبل. هذا هو القانون الطبيعى. وما يسميه سواد الناس حظا أو سعدا أو نحسا ليس إلا أمانى وفينا .

نعيب زماننا والعيب فينـا وما لزماننـا عيب سـوانا
ونشكو دهرنا من غير ذنب ولو نطق الزمان بنا هجانا

يقول (جيته) أن تسعة أعشار العبقرية والنبوغ ليست إلا ثمرة الجد والنشاط والمثابرة ولكن البله هم الذين لا يؤمنون بأن النجاح والجد متلازمان .

ويقول الدكتور (جنسن) المؤلف الانجليزى المشهور أن شكوى الناس من سوء الحظ ومن الدهر ظلم فانى لم أعرف رجلا نشيطا مجتهدا يخيب فى مسعاه ثم يفشل فى عمل من أعماله فلا يلومن إلا نفسه .

ويقول (أديسن) المخترع الأمريكى المعروف "هناك قوم يؤمنون بأن الحظ يناوئهم فهم لا يتفكون يندبون سوء حظهم فى الحياة ويعيشون لذلك فى فاقة وبؤس ولكنى لم أر فيما رأيت رجلا حسن الأخلاق سليم العادات مجدا فى عمله حازما فى شئونه قد شكا من سوء الحظ" .

هذه — أيها السادة — أقوال رجال من ذوى العلم والتجربة يجعلون الجد والمثابرة وسلامة الخلق العمل الأولى للنجاح فى الحياة .

إن الأعمـال التى رفعت من شأن الانسانية لم تكن وليدة الحظ ولا المصادفة فليس الحظ هو الذى أخرج لنا (الالياذة) لهوس وشملت وشكسبير . وليس الحظ هـو الذى أخرج لنا ذلك الشعر الخالد للمتنبى أو كتاب الأغانى للأصبهانى أو الحيوان للجاحظ .

وليس الحظ هو الذى منح (أديسن) مصباحه الكهربائى و (استيفنسن) آلته البخارية وما كان للحظ أن يبعث فى أرض النلاح المجد النشيط محلا وجذبا فولا فى أرض الكسلان الخامل نماء وخصبا . وما كان الحظ ليرفع من شأن الرذائل ويحط من قيمة الفضائل وحول العالم الى فوضى ويجعل من النظام خرافة .

كثيرا ما قيل لنا أن بعض المستكشفات العظيمة كانت وليدة الحظ والمصادفة ، فقد أوحى سقوط تفاحة الى (نيوتن) قانون الجاذبية . وقد ألهم (فرانكلن) وحيه البرق والكهرباء بسبب ملاحظة عرضية اصاعقة من الصواعق . ولم يفكر (جيمس واط) فى استخدام البخار الا بعد أن أرى غطاء قدر يعلو ويهبط ، ولم يصل (جاليليو) الى فكرة قياس الزمن بيندول الساعة الا حين رأى القنديل فى كنيسة (بيزا) يتأرجح ويتذبذب .

لقد قيل لنا هذا وكثر مثله لنؤمن بأن بعض الأعمال العظيمة التى زادت فى رخاء الانسان وسعادته انما كان منبتها الحظ والمصادفة وقد يكون هذا حقا ولكنا لا يسعنا إلا أن نجزم بأن الفكرة المبدئية الأولى لهذه المستنبطات العظيمة كانت حتما تختلج فى نفوس هؤلاء الأبطال وتشغل عقولهم ثم جاءت تلك الملاحظات العرضية — إن صح أنها وقعت — حافزا لهم على التفكير هاديا لهم فى أسلوب البحث. وكم رأى آلاف الملايين من الناس قبلهم غطاء يعلو ويهبط وتفاحات تنضج فتسقط وقناديل تتأرجح وتهتز وصواعق تضرب فى الفضاء فلم يحرك هذا من عقولهم ولا أثار شيئا فى أخيلتهم .

أجل — سيداتى سادتى — أن للطبيعة طرقا عجيبة فى اخفاء أسرارها عنا وكثيرا ما تكون هذه الأسرار فى متناول أيدينا لا يحجبها عنا سوى (عود من القش) ولكن يجب ألا ننسى أن انتزاع هذا (العود) هو كل شىء وأنه يحتاج الى أكثر من مجرد وحى أو الهام.

ثم هب أن بعض هذه المبتكرات العظيمة كانت وليدة الحظ والاتفاق فهل كان من الممكن أن يصل بها الانسان الى تلك النتائج الباهرة التى أثارت للعالم طريق الحياة وزادت فى سعادته واطمئنانه لو لم يقترن ذلك بعزائم ماضية وجهود مستمرة مضنية وتضحيات عظيمة .

ماذا كان يفيد العالم من مجرد فكرة يوحى بها الى (نيوتن) أو إلهام يلهمه (فرانكلن) أو ملاحظة عرضية تقع عليها عين (جيمس واط) إذا لم يبذل كل منهم عقله وقلبه فى تحقيق فكرته ؟ كيف كان العالم يصل الى قانون الجاذبية وقياس الزمن والمركبة البخارية إذا قنع هؤلاء الأبطال بملاحظاتهم العرضية وظلت الفكرة فكرة الوحى وحيا والالهام إلهاما ؟

سيداتى ، سادتى .

إذا أبيتم إلا أن تعدوا النجاح الذى صادفه بعض هؤلاء المخترعين فى أعمالهم من قبيل (الحظ) فقد أضفتم الى (الحظ) معنى أسمى وأشمل وبهذا يكون الحظ هو (التوفيق)

فى العمل ويصبح بهذا المعنى وليد التعب والعناء والمشقة وبذل الجهد والصبر . ثم يصبح (الحظ) على هذه الصورة نهاية لا بداية وتابعا لا متبوعا فالاجتهاد والمثابرة والعزم هى التى تجلب (الحظ) وإن شئتم فقولوا إن تلك الصفات الأدبية هى التى تقى المرء سوء الحظ .

أما الحظ كما يفهمه سواد الناس فالاعتماد عليه مجلبة للفاقة والبؤس والتعس إنهم يترقبون من الحظ ثروة ولكن العمل هو الذى يضع أساس الثروة . انهم يعتمدون على المصادفة ولكن العمل يعتمد على القوة والخلق والمثابرة والجلد .

سيداتى ، سادتى

إن حياتنا الجديدة فى مصر حياة جد وعمل . حياة جلاد وكفاح . حياة تأبى الحظوظ والمصادفات وتنفر منها . إن (الحظ) فى حياة القرن العشرين لا يعنى أكثر من الجد والعزم واغتنام الفرص وتوجيهها التوجيه الصالح المثمر . إن من الواجب أن نستبعد (الحظ) من حياتنا ونسقطه من حسابنا وأن نؤمن إيمانا قويا صادقا بأن الحظ والجد والسعود والنحوس كما يفهمها عامة الناس — هى ألفاظ لاوجود لها إلا فى معاجم البله الضعاف .

زكى المهندس
عميد كلية دار العلوم

فزادك خفاق وبرقك خافق وأعياك فى الدنيا خليل موافق
تخير ! فإما : وحدة مثل ميتة وإما جليس فى الحياة منافق !

المسرح فى خدمة الشعب*

للأستاذ زكى طليمات
مدير المعهد العالى لفن التمثيل العربى

حديثنا اليوم عن فن التمثيل العربى فى الناحية الاجتماعية التى يجب أن يكون لها بحكم الروح الديمقراطى الذى يسود العالم اليوم ، هـذا الروح الذى يقضى بأن يصبح جميع المواطنين فى بلد واحد سواء أمام نظم التعليم ومظاهر التثقيف الاختيارى والترفيه الذهنى .

المسرح العربى اليوم ، بما يقدمه من حفلات مقصور نشاطه على طبقات الخاصة والمتعلمين ولمن دونهما بقليل ، وهو أيضا لطلاب المدارس فى معاهد العلم رياضة للتثقيف وتقويم الذوق ، ولكنه ، منذ نشأته العربية فى وادى النيل ، لم يصبح بعد غذاء روح ، ومصدر تثقيف للسواد الأعظم من الشعب ، الذى يتألف فى أكثريته الساحقة من الفلاحين والعمال ، ومن هم على غرارهم فى مستوى المعيشة والتعليم .

فالفرق التمثيلية المختلفة المشارب والنزعات تجوب أنحاء القطر بين المحافظات وعواصم المديريات والبنادر الكبيرة فى الريف ، ولكنها لا تطرق الريف الأصيل فى نجوعه وكفوره وقراه البعيدة .

وهـذه الفرق التمثيلية فى تطوافها المستمر تقدم فى حفلاتها نفس المسرحيات التى تمثلها فى مسارح القاهرة والاسكندرية ، من حيث المواضيع ، والصياغة الفنية ، والمستوى الثقافى ، ولا تبالى بأن تكون هـذه المسرحيات مما يفهمه جمهور الريف ويستسيغه ويتبصر به لأن حفلاتها مضمون إيرادها من المتعهدين ورجال الإدارة الذين يتحايلون على حشد أهل الريف لحضور التمثيل بمختلف الوسائل .

ويحضر أهل الريف هذه الحفلات بدافع الفضول ، أو الظاهر بالعلم ، أو الإجبار فترى وجوها متطلعة ، ولكن إلى غير ما تفهم وتتذوق تحمل من السذاجة مسحة قد تجتذب نظر المتأمل أكثر مما يجذبه ما يجرى فوق المسرح ، وقد تراهم يشاركون أعيان البندر ورجال الإدارة فى التصفيق للممثلين ، ولكنها مشاركة من بواعثها الرئيسية المحاكاة والتقليد ، وعزة النفس التى تأبى أن يتهم صاحبها بالجهل والغباء ، والنفس كما نعلم تعمل دائما على تغطية محاسرها من مواطن الضعف ، بتكلف ما هو ليس أصيلا فيها .

---

* نص المحاضرة التى أذيعت فى البرنامج الثقافى للوزارة فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٥

وينصرف هذا الجمهور مغبطا نشوان لأنه سعد برهة من الزمن بالتعبير القائم على التقليد والمحاكاة ، إذ أنه فى الواقع أدى دورا تمثيليا لا يقل صعوبة عما يجريه الممثلون فوق المسرح . فإذا خلوا إلى أنفسهم وتذاكروا فيما أمضوا الليلة من أجله ، انفرجت شفاههم عن حيرة ولا أقول عن بله حزين .

ومرجع هذه المأساة الاجتماعية أن ماشاهده هذا الجمهور فوق المسرح يعلو مداركه ويجفو ذوقه ، ولا يخاطبه فى شئ مما يشغل باله من أمور الدنيا ، حتى ولو جرى التمثيل باللهجة العامية .

هذا هو موقف جمهور الريف ، ومن هو على غراره فى مستوى الذهن والمعيشة ، من حفلات التمثيل ، وهذا هو نصيبه من التأثر بها والاستفادة منها ، وحفلات تمثيلية هذا شأنها لا تحقق بأى حال الغرض من قيامها ومن الفن نفسه كأداة للتثقيف والتهذيب ، وكعامل من عوامل التسلية البريئة والترفيه المصفى من أدران الرذيلة .

بل أكاد أقول إنه من الخير أن لا تجرى هذه الحفلات ، لأنها لا تؤثر فى هذا الجمهور الساذج الا فيما له علاقة بالحواس والغريزة الجنسية ، إذ لا يخفى أن أكثر هذه المسرحيات لا تخلو من مواقف للعناق والتقبيل والاغراء بالتجاذب الجنسى ، مواقف ترد فى غير غاية لذاتها ، ولكن كوسيلة إلى ما بعدها من غاية تهذيبية يعتبرها المشاهد ، وهى غاية لا يدركها غير المتعلم الذى تهذب حسه ، كما أن بعض الفرق التى تذهب إلى الريف تتخذ من اسم فن التمثيل ستارا ، فى حين أنها لا تقدم غير ألوان من الرقص والخلاعة ، ألوان تملق ولا شك حواس من كثرت مؤونتهم من صحة البدن وسلامة الأعصاب وقلت أزوادهم من قوى الذهن التى تلجم فورة الدم ونزوات الحس .

وفاصل القول إن فن التمثيل العربى ما زال لخدمة طبقات خاصة وقليلة من الشعب المصرى ، وليس لأكثرية طبقاته ، وهى طبقات تتساوى مع سابقتها فى موقفها من الالتزامات الوطنية ، من حيث دفع الضرائب والقيام بواجباتها كوحدات عاملة فى الانتاج القومى وفى إنماء ثروة البلاد وصونها .

هذه حال إذا قامت فى الزمن الماضى ، وأغفل أمرها لأسباب لا داعى لذكرها ، فلا يصح بأى حال أن تقوم فى هذا العصر ، عصر الحكم الدستورى ، وعهد الديمقراطية مطبقة فى أوسع معانيها ، أقول إن حرمان أهل الريف والعمال ، وهم يؤلفون أكثر من عشر ملايين من تعداد سكان القطر ، حرمانهم من مباهج فن التمثيل المستساغ لهم ، ومن التثقيف بآثاره التى تخاطب أذهانهم ، أمر لا تقره عدالة اجتماعية ، ولا يتفق وروح العصر الذى نعيش فيه ، وهو الروح الذى يهدف ، أول ما يهدف اليه ، إلى محو التفاوت فى الطبقات تجاه شؤون التعليم والتثقيف والترفيه العام .

هذا ومما يبرر أمر المطالبة بتغيير هـــذه الحال ، أنه أصبح لفن التمثيل العربى وزارة تعنى بشئونه وتهيمن على مرافقه ، وقد كان قبلا لا تعنى به هيئة حكومية هذه العناية التى نلمس آثارها اليوم . فلوزارة الشؤون الاجتماعية فرقة تمثيلية ، هى الفرقة المصرية ، تخصصها بآلاف الجنيهات وتشرف على توجيهها إشرافا مباشرا ، وفى ميزانية هـــذه الوزارة آلاف جنيهات أخرى قد رصدت لتشجيع الفرق الأخرى العاملة ، وتنشيط التأليف المسرحى . وادارة معهد لفن التمثيل وآخر لفن الموسيقى المسرحية .

وفى ميزانية وزارة المعارف رصيد لايقل مقداره عن خمسة آلاف جنيه لمساعدة الفرق الأجنبية التى تقيم موسما تمثيليا بدار الأوبرا الملكية فى كل شتاء .

هذا جميل وجد جميل ، يقيم الحجة على أن الحكومة ، وقد فطنت الى ما لفن التمثيل من أثر فى التعليم وفى التقويم الخلقى وفى الاصلاح الاجتماعى ، لا الو جهدا فى تشجيع المسرح المصرى الناشىء ، ووضع خطة انشائية من شأنها أن تيسر له أمر الارتقاء ، وان تزوده بالعناصر اللازمة له وأن تتدم للعاملين فيه نماذج فنية رفيعة بطريق استقدام الفرق الاجنبية من العواصم الاوروبية الكبرى .

بيد أن كل هذه المبالغ التى يتجاوز مجموعها الثلاثين الفا من الجنيهات سنويا انما تنفق من أجل رفاهية أهل القاهرة والمحافظات ، اذ أن الفرق التمثيلية التى تستمد معينها من هذه المبالغ لاتمتد حفلاتها الى أكثر من بنادر الاقاليم ، وفى رحلات قصيرة متقطعة ، وبروايات لا تستسيغها غير الطبقة المتعلمة وهم قلة ، هـذا فى حين أن الريف الذى يعوزه كل شىء من أسباب الترفيه والتثقيف الاختيارى المستساغ محروم من كل شىء .

ولست بما أقرر انتقص اهتمام الحكومة بفن التمثيل ، فان ما قدمتـه ، وان لم تدع أهدافه بحيث تماشى روح الزمن ، محمود ومشكور ، وهو الخطوة الأولى والأساس الأول الذى لابد منه ، وانما نحدد ما هو كائن لنرسم ما يجب ان يكون .

ان الذى نقترحه أن يكون لسكان الريف ورجال الحقول وعمال المصانع — وهم الشعب الكبير — مسرح محلى يكون ، بما يقدمه من روايات ، مرآة لجمهوره ، مرآة تجسم ما ينعكس عليها من جميل وقبيح ، ولا يصح أن ينعكس عليها غير خلجات قلب هذا الجمهور ومشاغل ذهنه وأحلامه وأمانيه ، فتكون روايات هذا المسرح ، من حيث تأليفها واخراجها ، لا تعلو على مدارك هذا الجمهور ، ولا تسف الى تملق رغباته ومواطن الضعف فيه ، وتكون بأهدافها قبل أى اعتبار آخر ، الى ما يبصره بما يجب أن يعرفه ليحسن فهم رسالته فى الحياة بالنسبة لنفسه ولمواطنيه ، والى ما يساعده على حل معضلات حياته ، ويجنبه الى عمله ، الى ما يشعره بكيانه ويشق له أفقا من التطلع الى تحسين حاله ماديا ومعنويا . وهكذا يكون المسرح للسواد الأعظم من الشعب ، بل يكون للشعب ومن الشعب وفى خدمة الشعب

وقد أخذت أوروبا بعد الحرب العظمى الأولى بأسباب هذا الأمر ، ولا سيما في روسيا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا ، على الرغم من أن لها عرقا أصيلا في فن التمثيل ، ولها فيه تقاليد وأدب ، ودور التمثيل منتشرة في كل ناحية من نواحي الحضر والريف ، فأنشأت ما أطلقوا عليه اسم (المسرح الشعبي) ووكلت أمر الاشراف عليه وادارته الى الوزارة المختصة بشؤون الاجتماع والتثقيف والدعاية ، فما لبث أن عمل هذا المسرح الجديد عمله الفعال النافذ في رفع المستوى الثقافي والتعليمي العام ، وفي محو (الأمية الذهنية) التي هي أشد خطرا من أمية القراءة والكتابة .

والأمية الذهنية عندنا أمرها معلوم وهي فاشية حتى بين المتعلمين ، فهي داء ، وأما أمية القراءة والكتابة ، فوباء اجتماعي كالحفاء ، والمسرح الشعبي من ادواء ذاك الداء وهذا الوباء ، والحكومة جادة بمشروع الخمس سنوات ، لأن تواجه المشروعات النافعة في مختلف الحياة الاجتماعية المصرية لتستدرك ما فات ، ولتماشي سنة التقدم والارتقاء العام ففي ظني أن لن يكون بعيدا ذلك اليوم الذي يكون لنا فيه (مسرح شعبي) يؤدي رسالة التثقيف والتقويم الخلقي العام بين طبقات الشعب ويكون مصدرا لأدب شعبي جديد .

أقلقتم السابح في لجه ورعتم في الجو ذات الجناح
هذا ! وأنتم عرضة للفنا فكيف لو خلدتم ياوقاح ؟

" المعري "

مستقبل الجمعيات التعاونية العامة بعد الحرب*

لحضرة صاحب العزة حسن الزينى بك
عضو المجلس الاستشارى التعاونى الأعلى ورئيس الجمعية التعاونية
لمديرية الدقهلية ومحافظة دمياط

سيداتى ، سادتى :

إن من أعز الأمانى ، وأقربها إلى نفسى ، أن أتحدث إلى إخوانى التعاونيين فى موضوع يحتل المكان الأول من الأهمية عندهم ، ويشغل الحيز الأول من تفكيرهم ، منذ وضعت الحرب أوزارها ، ولمع بريق السلام فى أفق العالم ، ألا وهو موضوع ، مستقبل الجمعيات التعاونية العامة فى المديريات ، وما يخالج خواطر الكثيرين فى مصيرها بعد انتهاء هذه الحرب الضروس :

سيداتى ، سادتى :

تأسست الجمعيات التعاونية المركزية ، والاتحادات التعاونية ، بمقتضى المادة ١٦ من القانون رقم ٢٣ سنة ١٩٢٧ ، بشأن الجمعيات التعاونية المصرية والغرض منها القيام باجراء عمليات بالجملة تتطلبها الجمعيات المنتمية اليها لحسابها أو تمهيد الوسائل التى تكفل للجمعيات المذكورة ، تحقيق هذه العمليات ، أو تقديم المواد التى تستهلكها هذه الجمعيات لها ، هذا ، هو منطوق المادة ٩٦ من القانون المذكور ، وأغراضها واضحة ، وضوح الشمس ، وقد تعبر اسمها بالجمعيات التعاونية العامة بنفس النص بالقانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٤٤ فى المادة ٩٦

وكان القصد الأساسى ، الذى ترمى اليه مصلحة التعاون ، من وراء هذا التعاون ، إن تيسر سبيل الحصول على المواد الضرورية لتموين الأفراد ، وتصلهم بهذه الجمعيات رأفة بهم ، وشفقة على الفقراء منهم . ودرءا للخطر الذى يتهددهم من جانب بعض التجار الجشعين ، الذين رانت غشاوة الجشع ، على أبصارهم وقلوبهم ، فلم يبالوا بالقوانين الرادعة ، التى وضعتها الحكومة لمراقبتهم ، وبالأوامر الحازمة التى أصدرتها للضرب على أيديهم ، فغالوا فى الأسعار ، وأقاموا السوق السوداء وعمروها فى شتى أنحاء البلاد .

* أذيع هذا الحديث فى البرنامج الثقافى لإذاعات الوزارة .

ولقد كان من فضل الله علينا ، أن تخرج الفكرة إلى عالم الوجود ، وتؤسس فى البداية باسمهم ، تكتتب بها الجمعيات الفرعية ، وكانت قيمة السهم ، أربعة جنيهات مصرية ولئن كانت الأسهم المتجمعة حين بدء تنفيذ المشروع قليلة ، إلا أن الفرصة كانت سانحة لتنميتها لكثرة الأموال المتداولة وانتعاش الحالة نتيجة ظروف الحرب .

وقامت الجمعيات المركزية على هذا المال القليل فى مجموعه الكثير فى إنتاجه وكان عمادها حسن إدارة القائمين عليها ، ولقد خطت خطوات سريعة ، بما جمعت من أموال ، على سبيل الأمانات ، لحساب كل جمعية ، بمقدار ما يلزمها شهريا من مواد التموين ، وهذا ما شجعها على السير إلى الأمام فى عملها .

ولقد أدى إنشاء هـذه الجمعيات إلى توحيد الجهود التجارية ، وتنظيم المعاملات بين التعاونيين ، وانها لفكرة صائبة حقا ، فقد كانت بمثابة الراعى الأمين الذى يرعى مصالحهم ويسهر على راحتهم وينفذ رغباتهم ويفكر فى مستقبلهم ولايدخر وسعا فى إصلاحهم ورفاهيتهم ، وعلى هذا الأساس قام صرح هذه الجمعيات المباركة التى أصبحت بمرور الأيام مثبتة البنيان لا تؤثر فيها الحوادث ولا تنال منها الأحداث .

سيداتى ، سادتى :

والآن وقد أشرقت علينا شمس السلام ، لتكشف هـذه الظلمات ، التى خيمت على سماء العالم ستة أعوام ، يجب علينا جميعا أن نصحو وأن تغمرنا الثقة ويعمنا التفاؤل ، ع بمستقبل الجمعيات التعاونية بمصر ، وليس لنا أن ندع للتشاؤم طريقة إلى قلوب بعضنا ، بما ينتظر من هذه الجمعيات ، فيغلب عليهم الظن بأنها كانت وليدة ظروف الحرب القاهرة فحسب ، ولا تلبث حتى تنتهى بانتهائها ، وان قيامها الآن نتيجة استمرار إمدادها بمقادير التموين الضرورية للأعضاء ، بحكم إشراف الحكومة على هذه المواد ، وتحديد أسعارها ، وبحكم النظام الذى وضع لتوزيع السكر والزيت والشاى والأقمشة الشعبية وغيرها من مواد التموين وهؤلاء مسرفون فى التشاؤم بغير حق ، إذ يقدرون عمر هذه الجمعيات بعمر وزارة التموين وهى كما يعتقدون مرهونة ببقائها .

ولكنى لا أشارك هؤلاء رأيهم وتفكيرهم ، فلا أغالى إذا أكدت أن هـذه الجمعيات ستنتج أكثر مما أنتجت ، وتثمر أوفر مما أثمرت ، وستلعب دورا خطيرا وتؤدى مهمة عظيمة فى المستقبل فى تنظيم تداول السلع . والتعامل فى المواد الضرورية للساهمين ، مع الجمعيات التعاونية الفرعية فى أنحاء البلاد وستظل ثابتة بمدعمة القواعد قوية الدعائم لا يزعزعها مزعزع ، ولا تقف فى طريقها عقبات ، وستبقى مجالس إدارتها عاملة باخلاص وأمانة على المحافظة على كيانها والقيام على أموالها وإدارتها ومضاعفة رؤوس أموالها من سنة لأخرى ، مع زيادة عدد جمعياتها الفرعية ومشتركيها وستتسع بذلك نطاق تجارتها مع الجمعيات الفرعية .

ولما كانت الروح التجارية السائدة فى هذه الجمعيات بعيدة عن الطمع والجشع والأغراض ، لأن أموالها ملك للتعاونيين جميعا ، منهم واليهم ، وربحها محدود ، ومقرر حسب القانون وكل زيادة فى الكسب تعود إلى أعضاء الجمعيات بالعائد الذى يوزع فى نهاية كل سنة بمقدار تعامل كل جمعية مما تستورده من الأقمشة وغيرها من المواد الأخرى ، التى تلزم للتعاونيين بالجملة من المصانع والمعامل التى بالداخل والخارج بأسعار تتصف بمضاربتها وتعز منافستها ، يمكن أن تمد به فروعها ، وتورده لعملائها .

اخوانى التعاونيين

وعندى لكم بشرى حسنة . تزيد ايمانكم . واطمئنانكم . وتعزز رأيى فى مستقبل الجمعيات ، وهى ، مشروع إنشاء البنك التعاونى الذى قررت الحكومة انشاؤه بمقتضى المادة ١٧ من قانون التعاون والذى اقرته وزارة الشئون الاجتماعية والمجلس الاستشارى الأعلى . فى جلسته المنعقدة فى يوم عشرة نوفمبر سنة ١٩٤٥ ، وسيكون تأسيسه على أموال تشترك فيه كل الجمعيات فى أسهم لاتقل عن سهم واحد قيمته عشرون جنيها اشتراكا جبريا وإنه ان حسن الحظ أن عدد الجمعيات الآن بلغ ألفين . وعلى هذا سيجتمع لدينا بسهولة نحو الأربعين الف من الجنيهات على فرض أن كل جمعية ستعاون بسهم واحد ولكنى عظيم الأمل فى أنها ستبلغ المائتين وخمسين ألفا من الجنيهات بفضل سخاء التعاونيين وإقبالهم على هذا المشروع الجليل وستكون كل هذه المبالغ الحجر الأساسى الأول فى بناء البنك الجديد .

ومما يبعث الأمل فى قلوبنا بمستقبل البنك الجديد أن تعلم جميعا أن بنك مصر قد أسس فى بدء إنشائه بثمانين الف جنيه وها نحن أولاء نرى مبلغ ازدهاره وما وصل إليه من تقدم حتى بلغ الملايين وبإذن الله سيكون بنك التعاون من أقوى البنوك المدعمة ماليا وإداريا بفضل التعاونيين وتعضيدهم له وبذلهم فى سبيله .

وسينتخب مجلس إدارته من فحول رجال التعاون مما يكفل حسن إدارته وصدق الاخلاص لما يهدف له — فلتطمئنوا أيها التعاونيون على جمعياتكم بالخاصة والعامة وعلى مصرفكم المنشىء حديثا فسيتم له مارجوه من شأن عظيم ومستقبل وطيد ثابت وحمدا لله الذى أوجد لنا هذا البنك الذى لم يدع ثغرة للتشاؤم على مستقبل الجمعيات التعاونية وسيكون بمثابة المعين الذى نستمد منه ماتحتاج إليه فتؤدى أمانتها وتقوم برسالتها مطمئنة على كيانها آمنة على حياتها مزهوة بازدهار مستقبلها .

فلتقبلوا جميعا على الاكتتاب لهذا المشروع الجليل الخطير العظيم الأثر بسخاء وليشترك كل منا بأسهم كثيرة ولا يبخل على هذه المؤسسة الوطنية التعاونية والقومية ولتجعل منه مصرفا ماليا كبيرا ينفع التعاونيين فى مطالبهم وضروراتهم فى كل الأوقات العصيبة

ولينشر كل أخ فى التعاون الدعوة فى كل مكان للاقبال على الاكتتاب له وتدعميه وتوطيده ماليا وكلما كثر المال ازداد النفع وعم الخير وقامت الجمعيات التعاونية العامة بمشروعاتها ورغباتها وهى واثقة بالنجاح إن شاء الله .

سيداتى ، سادتى ...

إن الجمعيات التعاونية العامة تعتبر ناديا يجمع شمل التعاونيين وغايتها جمع القوى الحية فى البلاد أفرادا و جماعات حول مبادئ التعاون وتدعو المواطنين إلى التعاون القومى فى كل وقت وفى كل حين وفى الأحوال جميعها سواء كانت بسيطة عادية او خطيرة غير عادية كما تدعو الى الاتحاد والالتفاف حول المصالح المشتركة وما أنشئت هذه الجمعيات إلا لخدمة الأعضاء . ورفع مستوى معيشتهم . بما تقتضيه من وسائل الاتجار بالجملة من مصادر الحاجيات نفسها وبأثمان متهاودة توزع على الأعضاء بربح قليل مناسب .

ونحن اذا استشعر جميعا جسامة ما يصادفنا فى سبيل تأسيس البنك . ندرك تماما ما يقتضيه الواجب الوطنى علينا . من ضرورة مواجهة الموقف الحالى . الملىء بالمنافسات الاقتصادية والمضاربات التجارية . فعلينا ان ندعم هذا البنك . ونجعله طودا شامخا . ترتطم على صخرته كل المصاعب التى تواجه الجمعيات . فتتغلب عليها .

وإن شيئا واحدا . هو الذى يدنى التعاونيين فى أهدافهم ويلفتهم آمالهم . ذلك هو البنك التعاونى . الذى سيوثق الروابط بين أعضاء الجمعيات ويثبت فكرة التعاون فى قلوبهم وإنا لنرجو من ورائه ان تقوى العلاقات المالية . ووسائل التعاون الحر . مع الجمعيات التعاونية العامة . وفقا لتطورات المعاملات الاقتصادية والمالية الحديثة . وبذلك يتسنى لمصر النهوض بقيعاتها الدولية فى كرامة وإباء وتستطيع من وراء ذلك أن تؤدى اصلاحاتها الشعبية الكبرى الشاملة اجتماعية كانت أو اقتصادية ، وإن حضارة الشعوب أصبحت تقاس بما تبذل من جهود لرفع مستوى الطبقات العاملة وغير العاملة وتحسين أحوالهم المعيشية والاجتماعية .

وإن النهضة الصحيحة لهى النهضة الشعبية التى تتآزر فيها الجهود من جانب الأفراد جميعا ، ويكون فيها التعاون صادقا فهبوا للعمل وتقدموا الى الأمام بخطوات ثابتة وأقدام راسخة (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) صدق الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

حسن الزينى
رئيس الجمعية العامة لموظفى مصلحة الجمارك
ونقطة دمياط والمندوب بالمجلس الاستشارى
التعاونى الأعلى

الطلاق

لعل من أمتع المعضلات التى حاول العقل البشرى أن يعالجها أيام طغى المنطق الشكلى على غيره من ألوان الفكر هل وجدت البيضة أولا أم الدجاجة ! ! ولعل هذا العقل فى جهاده لمعرفة العلة الأولى قد تتبع حلقات الكائنات والموجودات واحدة فواحدة فوجد أنه ينتهى آخر الأمر من حيث بدأ .. فالدجاجة من البيضة ما فى ذلك شك .. والبيضة من الدجاجة ما فى ذلك شك .. ولكن أيهما أسبق فى الوجود ؟ ؟ وكذلك يعن لأصحاب علم الاجتماع أن يتساءلوا أحيانا أنشأت الأسرة من الزواج أم نشأ الزواج من الأسرة .. فنحن نلاحظ فى مجتمعنا الحاضر أنه ما من أسرة الا وكانت ثمرة لزواج ، وكذلك الحال فى سائر الاجتماعات البشرية التى عرفها التاريخ وإن كانت شريعة الزواج تتسع فى حقبة أو مجتمع فتحلل ما حرمته حقبة أخرى أو مجتمع آخر . . وأصحاب علم الانسان يؤكدون أن الأسرة قديمة قدم المجتمع البشرى بل هى أقدم منه بكثير . . فالببونات العليا ومنها القردة العظام تحيا حياة عائلية واضحة المعالم والمراسيم يقوم فيها الذكر مع أنثاه أو حريمه وأبنائه مقام الأب فى الأسرة الانسانية من التحذير والحماية والاعالة جميعا ..

ويكذب بعض علماء النفس ما ذاع أخيرا على يد تلاميذ فرويد والمسرفين فى تفسير مذهبه من أن الجماعة الانسانية قد مر عليها حين من الدهر كانت تعيش فيها عيش إباحة واختلاط لا تعرف المحارم . ذلك لأن الغيرة وهى أصل من أصول الأثرة والحيازة والملكية موجودة بين ذوات الأربع فى كثير من الحيوان وما يعنينا بطبيعة الحال أن نعرف هل قامت الأسرة فى تلك العصور السحيقة عن زواج له قواعد ورسوم أم لم تقم . . ولكن الذى يعنينا أن شعائر هذا الزواج وشرائعه متمكنة من النفس البشرية منذ عهد لا ندرك كنهه . . . وأنه قام لتنظيم هذه العلاقة التى تمس أصلا من أقوى الأصول فى الحياة وهو حفظ النوع البشرى فهو ينظم العلاقة بين شريكين كل منها قبل الآخر . وينظم هذه العلاقة قبل ما يصدر عنها من نسل ثم هو بعد هذا كله ينظمها قبل المجتمع . . . واذا كان الزواج ينظم الانتخاب الطبيعى بين الجنسين قدر الطاقة فان الطلاق جاء ليحل ارتباطا قام بلا انتخاب طبيعى لضرورة من الضرورات أو نزعة من النزعات ، وهذا هو الأصل الطبيعى فيه وإن رفضته بعض الجماعات أو خرجت به بعضها الآخر عن هدفه ومرماه ..

ولعل من الخير أن نتتبع صنيع الأمم والشعوب على اختلافها فى الطلاق وموقفها منه حتى تتبين الحكمة فيه فيقال إن الطلاق مجهول عند الصيادين المنحطين . . . والمزارعين البدائيين نادر الحدوث عند غيرهم . . فى حين تسرف بعض القبائل فيه حتى أصبح الزواج عندهم

قصير الأمد يطلق الرجل زوجته متى شاء ، وتطلق المرأة زوجها متى شاءت ...أما أسباب الطلاق فى تلك المجتمعات البدائيـة فأهمها الخيانة والعقم والهجر والعجز عن إعالة الزوجة والبنين .

ونحن نضرب صفحا عن غرائب السنن والعـادات كتطليق المرأة زوجها فى إفريقية الوسطى لإعراضه عن حياكة ملابسها !!! ...

أما الثقافات فالأمر عندهم أوضح .. فالقانون الصينى يبيح للرجل أن يطلق زوجته إذا لم تنجب ولدا و إذا لم تحترم أهل زوجها أو لحسدها وغيرتها أو لثرثرتها وحمقها .

وكان الساميون يبيحون الطلاق حتى جاء الإسلام فنظم الطلاق وجعله أبغض الحلال عند الله ...

أما الهندوس فالزواج عندهم فرض دينى لا سبيل الى الخلاص منه... فاذا أثمت الزوجة تلفظها طائفتها . وينبذها أهلها. ولكنها تظل مع ذلك فى منزل زوجها فى مرتبة الجوارى والخدم .

فاذا انتقلنا إلى الآريين وجدنا اليونان والرومان يقدسون الزواج ولكنهم ما إن تقـدموا فى مدارج الحضارة حتى شاع الطلاق بينهم وقد أنبأنا التـاريخ أن معظم النساء فى عهـد شيشرون قد طلقن... ومن الفكاهات المأثورة أنهن كن يؤرخن الحوادث بأزواجهن فيقوم العام الأول للزوج الثانى أو الثالث وهكذا ...

ويطلق الرجل التيوتونى امرأته لعقمها أو للاشتباه فى سلوكها ...

وأخذت الكنيسة المسيحية فى أوربا تقيد الزواج وتعتبره أصلا من أصول الدين ولكنها سمحت بالطلاق إذا لم يكن الزواج شرعيا فى مستهله فلما جاء عصر الاصلاح الدينى سمح بالطلاق وسمح للبرئ من الزوجين بالزواج مرة أخرى وأعطوا السلطة المدنيـة حق الحكم بالطلاق إذا رأت ما يدعو إليه ... ومن الكلم المأثور ما قاله "جفرمن" عما نتج عن تحريم الطلاق ...

« عاش آباؤنا أجيالا عدة تحت قانون زواجى لا مثيل له فى الشذوذ والضيق إذ أغلقت أبواب الخلاص من الزواج ولم يبق مفتوحا منها غير باب الموت حتى كثر التحايل وتعـدد الطلاق الصناعى فاذا جاء الإصلاح ألغى الزيجـات المؤسسة على الخديعة والغش والادعاء بحيث لا يستطيع الرجل التخلص من عقـد الزواج إذا أقسم أنه ابن عم زوجته البعيد أو أنه أحب أختها أيام الشباب أو كان مرافا لأحد أقاربها » وظهر فى انجلترا أيام القرن السابع عشر لون طريف من ألوان الطلاق هـو « الطلاق البرلمانى » الذى لم يكن يسمح به إلا لخيانة بعد دفع نفقة باهظة قد تبلغ آلاف الجنيهات .

أما فى العصر الحديث فقد كاد يقضى على الفكرة القائلة بجمود الزواج وعدم قابليته للحل على تفاوت بين السعة والضيق ، ذلك أن الثورة الفرنسية أسبغت فلسفتها على كل شىء فأباحت الطلاق فى فرنسا الكاثوليكية واعتبرته سمة من سمات الحرية الفردية فى حين تحرم كارولينا الطلاق مع أنها بروتستانتية المذهب ، بل إن أحد الكتاب المحدثين قد علق على اختلاف الولايات المتحدة الأمريكية فى أمر الطلاق بقوله : " إن الولايات المتحدة — غير متحدة فى أمر الطلاق " .

ومهما يكن من شىء فإن أسباب الطلاق كلها تنحصر فى الاضرار بالشريك بالخيانة والفسوق أو العجز عن تكاليف الزواج من العقم وعدم النفقة وما اليها .

ونحن إذا نظرنا إلى نسبة شيوع الطلاق موزعة على الأمم والشعوب وجدنا سويسرة أكثر اقبالا على الطلاق من سائر الدول الأوربية ... وهو فى الولايات المتحدة أكثر منه فى سويسرة ، بل أكثر منه فى الدول الأوربية مجتمعة ...

وكثيرا ما نقرأ فى الصحف الأمريكية أن إحدى السيدات طلبت الطلاق لأن زوجها لا يأخذها فى سيارته للنزهة أولا يعود إلى منزله قبل العاشرة وإذا عاد أمضى الوقت فى الثرثرة التى لا تفيد !!!!

ومن البديهيات عند أصحاب علم النفس الاجتماعى أن حوادث الطلاق تزداد مع حوادث الانتحار، وهذا يدل على أن المجتمع الذى يفشو فيه مجتمع متقلقل تضيق فيه الصدور وتتبلبل الأوضاع وما من شك فى أن الوقوف فى وجه تفشيه لا يكون إلا باصلاح الزواج نفسه بحيث يصبح وافيا بالغرض منه محققا للانتخاب الطبيعى ...

وأنا لا أوافق على الفكرة الشائعة التى تقول إن الطلاق عدو الزواج، فإذا سهل الحصول عليه كان ذلك سببا فى هدم الحياة العائلية ، وأرى أن الطلاق على العكس علاج ضرورى للزواج الشاذ ووقاية حتمية من النكبات التى تعصف بالأسرة ويضع حدا للاتحاد الذى يقدم عليه من لا يفهم معنى الزواج ...

عبد الحميد يونس

عضو لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية

الجسم والروح

وفهم العلاقات بينهما

للاستاذ محمد عبد المنعم خلاف

أذكر لكم مثلا مجازيا يقرب فهم العلاقة والمسئولية بين الجسم والروح لتتبينوا أن كثيرا من آفات المجتمع ناشئ من سوء الفهم للعلاقة الواجبة بينهما .

كان لاحد الملاك حديقة واسعة حافلة بأنواع الثمار الشهية الجميلة ولم يشأ أن يجعل لها حارسا واحدا فعهد بحراستها الى حارسين أحدهما أعمى والثانى مقعد كسيح وقد سولت لهما النفس الأمارة بالسوء أن يأكلا منها من غير أن يعرف كل منهما مايفعل الآخر فلم يستطيعا ذلك لعجز الأعمى عن الرؤية والاهتداء الى مواضع الثمار وعجز المقعد عن النهوض والسير وتسلق الأشجار للقطف منها فاضطرا أخيرا أن يفضى كل منهما للآخر بهذه الرغبة فقال المقعد للاعمى إنى أرى فى الحديقة ثمارا جميلة وأن نفسى لتشتهيها ولكنى لا أستطيع أن أسير اليها وأتسلق أشجارها لأجنى منها وأتمتع بأطايبها . فأجاب الحارس الأعمى وأنا كذلك ياأخى أتمنى أن اهتدى الى هذه الثمار ولكنى لاأستطيع منفردا كما أنك لاتستطيع منفردا . . فهلم أحملك على كتفى وأذهب بارشادك الى أمكنتها فتقطف وتطعم وتطعمنى وسوف لايشك المالك فينا لأنه يعلم عجز كل منا منفردا عن السرقة .

فلما تفقد المالك حديقته وجد ثمارها ناقصة فاستدعى الرجلين وسألهما . فقال المقعد مدافعا عن نفسه " كيف يمكن أن أكون السارق الجانى مع أنى لاأستطيع النهوض والسير وتسلق الأشجار ؟ وقال الأعمى " وكيف يمكن أن تنسب السرقة الى مع أنى عاجز عن رؤية الثمار والمرور بين الأشجار ؟

فما كان من المالك الذكى إلا أن أجلس المقعد على كتفى الأعمى وأصدر حكمه عليهما باعتبارهما شخصا واحدا يعين بعضه بعضا وقال لهما " أنى إخترتكما واعتمدت فى الحراسة على بصر الكسيح وقوة الأعمى ليكمل أحدكما الآخر فى الخير وأداء الأمانة ولكنكما استعملتما ذلك فى الشر والخيانة فعليكما معا تقع المسئولية .

كذلك ارتباط الجسم والروح ومسئوليتهما فى حديقة الحياة التى جعلهما الله حارسيها لايستطيع أحدهما أن يعمل مستقلا عن الآخر فى الخير أو الشر . ولا يستطاع الفصل بين العمل اللازم لها إن أردنا سعادة كاملة ولا يستطيع أحدهما أن يخلى مسئوليته أمام مالك حديقة الحياة . لذلك سيبعثهما الله مما يوم الجزاء فيحاسب الروح البصير الكسيح مع الجسد القوى الأعمى .

وأول مايجب أن نعنى به طبعا هو الجسم ذلك الجانب الظاهر هو فى الكيان الانسانى لأنه هو القالب الذى تتجلى فيه الروح وهو المسكن الذى تسكنه وتتأثر به فالانسان ينمو أول الأمر نموا جسديا أكثر مما ينمو عقليا وروحيا ثم تتبدىء قوى الروح تنمو بنمو التمييز والحكم والتدبر والتصور .

فما هو واجبنا نحو الجسم ؟ هو أن نجتهد أن تكون بذرته صحيحة سليمة من الأمراض الخبيثة وسموم المسكرات والمخدرات التى تترك فيه آثارا قبيحة كالجنون والعتة والعمى والاختلال العصبى ثم نعنى بالجنين وهو فى بطن أمه فنغذى الأم الغذاء الصالح ونجلب لها وسائل السرور والابتهاج بالرياضة فى مجالى الطبيعة الجميلة ونجنبها المؤثرات العنيفة كالخوف والحزن والغضب لأن كل ذلك يؤثر فى الجنين وتظهر آثاره فيما بعد وهو طفل وشاب ورجل وقد قيل أن تهديد الاسبان لانجلترا بأسطول (الأرمادا) ترك فى نفوس كثيرين من الجيل الذى كانت الأمهات حاملة به فى ذلك العهد آثارا من الخوف والاضطراب العصبى والقلق ولا ندرى ماذا ستكون آثار أهوال هذه الحرب فى الجيل الذى حملت به الأمهات فى أيامها المرعبة ، ثم إذا ولد الطفل يعنى به كما توجب قواعد الصحة ويشير به رعاة الطفولة حتى يصير قوى العود سليم القالب عند الشباب والرجولة .

وكل هذه العناية بالجسم لاشك تنتج شعورا من السعادة التى توحيها الصحة والقوة التى تجعل روح الانسان تستقبل الدنيا بالتفاؤل والرضا والطمأنينة وتقلل من التشاؤم والسخط فان الأمراض والآلام الجسمية من أعظم مسببات التشاؤم والسخط وكلنا يعلم ماذا يكون شعورنا اذا كنا أصحاء وماذا يكون اذا كنا مرضى أو حتى اذا كنا متخمين بلقمة زائدة أو اذا أصابنا أرق شرد النوم عن جفوننا ، ففى الحالة الأولى يكون كل شىء باعثا على الرضا والابتهاج ، وفى الحالة الثانية تسود الدنيا فى أعيننا ونغضب ونتشاءم ونتمنى الخروج من الحياة ونرى المرض هو أشد أنواع الشقاء ويتحول مذاق النعم الى مذاق مرير ولا نجد رغبة فى عمل ولا لذة فى المال ولا فى المناصب والجاه ، بل تتحول كل هذه الى أحمال ثقيلة على الصدر وإلى خدع لا قيمة لها ولا نفع فيها كما تتحول الأغذية الصالحة الدسمة الى سموم قتالة فى المعدة المريضة ، وكما تتحول الموسيقى الجميلة الى ضربات مؤلمة فى أذن الذى فى رأسه صداع . فالجسم اذا سرت فيه سموم المرض والألم أفسدت فيه أذواق جمال الحياة وحولت حرير الورد الى شوك وقتاد وبياض الصبح الى فحمة الظلام وحلاوة التفاح الى مرارة الحنظل.

أما الروح فتحتاج الى عناية أعمق وأعظم وأحذق لأنها هى الجانب البصير الذى يرى للجسم ويهديه ويدفعه ويسدد خطاه فى العمل والجهاد والكفاح لمعرفة الطبيعة ؛ ومع الأسف لا تزال العناية بها لدى أكثر الناس ناقصة نقصا فاحشا جعل حياة الانسان مضطربة حائرة ضالة ولا تزال العناية بالجسم طاغية مع أن لب الانسان الحقيقى هو الروح .

وإنكم حين تستعرضون حياة أكثرنا فتجدونها سلسلة من الغفلات والأكلات واللذات الجسمية والأعمال الآلية التي لا استحضار فيها لمعان كريمة ولا سؤال فيها عما هي الغاية من هذه الأعمال ؟ وما هي الغاية من الحياة ، وماذا بعد الموت ؟ تتعجبون وتستغربون من انصراف الناس عما كان يجب أن يتوجهوا اليه وحده .

فأكثر الناس لا يتذكر أن يغذي الجانب الكريم الخالد منه وهو روحه كما يتذكر أن يغذي جسده فهو يأكل ويشرب طول اليوم ولكنه لا يتذكر تغذية روحه فيتركها إلى أن تموت أو تصدأ أو تتبلد فهو لا يفكر في عجائب هذه الحياة التي دخلناها من غير اختيار منا وسنخرج منها من غير اختيار وهو لا يصلي لله مالك هذه الدنيا ولا يغـــذي عقله بالعلوم والمعارف التي تبين ما في الكون من أسرار ولا يغـذي وجدانه وشعوره بالفنون والآداب الرفيعة التي ترقق الطبع وترهف الاحساس وتضاعف مذاق الجمال .

هو يستغرق في اللذات الجسمية مع أنها ليست في الواقع إلا وسائل للجسم ليستعين بها على خدمة الفكر والروح فالأكل والشرب ما هو إلا وقود للجسم كالبنزين والفحم للسيارات والآلات ولا يطلب لذاته ، فالجسم مركب الروح والمركب لا بد له من غذاء ووقود ، ولكنه لا يكون على حساب غذاء الراكب ... ولا يطلب لذاته كما يفعل كثير منا وكما كان الرومان القدماء في عهد ترفهم وانحطاطهم يأكلون للتمتع بلذة الأكل فقط ، فاذا شبعوا ذهبوا وقاءوا واستفرغوا ما في بطونهم وعادوا ليأكلوا وليجددوا لذة الأكل وهكذا .

ولنختم هذا الحديث كما بدأناه بمثل آخر رائع ضربه أبو حامد الغزالي رحمه الله في العلاقة بين الجسم والروح وغفلة الناس عن فهمها قال " إنما مثل الروح مع جسده كمثل مسافر مع حماره وقد كلفه الملك رحلة وأعطاه ذلك الحمار ليركبه ويقطع به الطريق فنسي المهمة التي رحل من أجلها وشغل بالحمار وصار يدلله ويطعمه من غذاء نفسه ويحمله حتى عكس الحال فصار هو المركوب وصار الحمار هو الراكب .

وحقا سيداتي وسادتي ... لقد صارت أجسامنا تتحكم في أرواحنا وتطغى على غذائها وتركبها وتلجمها وتعذبها وتصرفها عن واجبات الرحلة في هذه الحياة المؤقتة في هذه الأرض الصغيرة جدا بالنسبة للكون الواسع وتضلها عن الطرق الممهدة السهلة وتحملها على الطرق الصعبة وحتى نظر الناس للحمار وحده ولم يعودوا ينظرون لراكبه فصار مقياس الانسان هو الجسم الجميل لا الروح الجميل ولا الفكر الكريم ولا الخلق النبيل .

وقد ظن كثير من الناس انه يكفى لإنشاء قرد من الأفراد أن تلقى بذرة انسانية فى رحم من الأرحام ثم تولد وتنمو بعد ذلك نموا شيطانيا بدون رعاية وتعهد .

ونحن لا نريد أن تهمل الأجسام ونظلمها حقها ونعذبها بالحرمان لاضعاف الأعضاء وتعطيلها عما خلقت له كما يفعل نساك الهندوس فى سبيل تقوية الروح كما يزعمون فان عالم الأجسام عالم بديع وقد امتن الله بدقة تصويره وتعديله وتركيبه وإنما نريد أن نعطى الروح حقها كما نعطى الجسد حقه حتى يخرج منهما الانسان الكامل المسئول عن حراسة حديقة الحياة بالأمانة والنظر والقوة فلا تترك الروح كسيحة عاجزة ولا الجسم مريضاً أوفاقدرا ولكنه أعمى فانهما شخص واحد سيجمعهما الله تعالى للبعث ويحاسبهما حسابا واحدا كما حاسب مالك الحديقة الحارسين فى القصة التى افتتحت بها هذا الحديث .

عبد المنعم خلاف

واحتمال الأذى ورؤية جانبـــه غذاء تضوى به الأجسام

" المتنبى "

واجبنا نحو أولادنا

للدكتور عبد العزيز عبد المجيد

أتحدث اليكم الليلة — معشر الآباء والمهات — فى موضوع يهمكم جميعا، لأنه يتصل بأبنائكم وبناتكم ، وأنا بحديثى هذا أفترض أنكم جميعا آباء وأمهات ، إما بالفعل وإما بالقوة فمن ليس له اليوم أولاد سيصير يوما ما ذا أولاد ، وقد جرت سنة الطبيعة بمجرد أن يرزق الوالدان طفلا أن ينتقل اهتمامهما من أنفسهما الى الطفل ، وأن يؤثراه على أنفسهما ولو كان بهما خصاصة ، وهى سنة حكيمة ذلك لأن الطفل — لما هو عليه من ضعف فى الجسم وقصور فى العقل — يحتاج لمن يرعاه، ويشرف عليه، ويحوطه بالعناية الضرورية للنمو السليم ، فهو — والحالة هذه — عيل لأنه عالة على والديه ، من أجل هذا منح الله الوالدين بالفطرة غريزة تسمى " غريزة الوالدية " وهى تلك التى تدفع بهما الى العطف والحنو على الطفل ، وتدبير ما يحتاج اليه فى حياة طفولته من الطعام والملبس والمأوى والحماية ، ولو حرم الوالدان هذه الغريزة ، ولم تخلق فيهما لما كان لهما هذا الحافز القوى على تضحية رغباتهما فى سبيل إراحة الطفل وسعادته .

والانسان أرقى أنواع الحيوان، لما منحه من العقل المدبر الجبار، الذى استطاع به أن يسخر لمصلحته ما حوله من القوى الطبيعية ، ولما كان الانسان أرقى أنواع الحيوان كانت طفولته أطول أنواع الطفولة ، إذ لا بد له — الى جانب استكماله نموه العقل الطبيعى من أن يرث تراث الجنس البشرى ، ومعارفه ، وحضارته ، بالتعليم والتجربة . فللجنس البشرى تقاليد وعادات ، تقاليد اجتماعية ، ودينية ، ونظم مدنية ، وعادات معاشية فى الأكل واللبس والنوم والحديث ولو كان أطفالنا كصغار الدجاج أو الفئران ، أو الأرانب مثلا ، لما احتاجوا الى طفولة طويلة المدى ، لأن حاجات صغار هذه الحيوانات محدودة ولم تمنح من العقل إلا بقدر هذه الحاجات، فكان طبيعيا أن تقصر مدة طفولتها .

والآباء والأمهات عادة لا يستطيعون وحدهم القيام على تربية أطفالهم طول عهد الطفولة هذا العهد الذى يرى بعض علماء التربية ، انه يمتد حتى سن الرجولة أى حوالى العشرين حين يستطيع الفرد الاعتماد على نفسه . من أجل هذا كان لا بد أن يعاون الآباء قوم لهم دراية بوظيفة " الوالدية " . وهى تربية الأطفال . وهؤلاء المعاونون للآباء ، قد اتفقنا على أن نسميهم : المعلمين أو المدرسين أو المربين . ولهم أماكن يذهب اليها الأطفال لاستكمال تربيتهم . وهى المدارس .

(*) أذيعت فى البرنامج الثقافى لوزارة الشئون الاجتماعية يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٥

والذى يهمنا الليلة هو واجب الآباء والأمهات نحو أطفالهم قبل الذهاب الى المدرسة وقد يبدو غريبا أن أتحدث الى الوالدين فى واجبهما نحو أطفالهما ، فما هما — فى هذا الصدد — بحاجة الى ناصح أو شفيق. ولكن التربية الحديثة ترى أن السنوات الأولى من حياة الطفل وهى التى تسبق دخوله المدرسة ، ذات خطر عظيم فى مستقبل حياته ، من حيث تكوين العادات الحسنة أو السيئة ، ووضع الأسس التى ينبنى عليها نموه العقلى ، والجسمى وما لم ينل الآباء والأمهات نصيبا من " الثقافة الوالدية " كانت تربية الطفل فى سنواته الأولى ، متروكة للعاطفة العشواء .

إن نمو الطفل الجسمى فى السنوات الأولى من حياته ، أسرع منه فى أية مرحلة أخرى، ولذلك كان فى حاجة الى رعاية دقيقة حتى يستمر النمو طبيعيا . وذلك لا يتأتى الا باعطائه من الغذاء المحتوى على المواد الضرورية لتكوينه كاللبن والزبد واللحم والبيض والجبن والخضر والفواكه ، وليس المراد أن يعنى بالكم دون النوع . فكثير من الأطفال يملأون بطونهم بالمواد النشوية ولا ينالون من اللبن والخضر والفواكه الا القليل مع حاجة أجسامهم اليها ، ثم هم لا يعرفون مواعيد لوجبات الطعام، فكلما خيل اليهم إحساس بالجوع طلبوا الطعام ؛ وسرعان ما تلبى الأم الدعوة ، فيختل نظام الهضم ، وينتاب الطفل ما ينتابه من إمساك أو إسهال أو تخمة . وما كان أغناه عن هذا كله لو انتظمت مواعيد الطعام .

والطفل يحتاج الى ساعات معلومة الى النوم والراحة، فى مكان هادئ نظيف ، والى أن تنظم مواعيد نومه ، ولكنا بالأسف نجد الأطفال متروكين للظروف ينامون أحيانا مبكرين ، وأحيانا متأخرين ويستيقظون كذلك ، وكم يؤلمنى أن أرى الأطفال مع ذويهم فى دور السينما ساعات من الليل هم أحوج فيها الى النوم .

والطفل يحتاج الى أشعة الشمس وحرارتها والهواء الطلق ، ولكن بعض الوالدين لا يدركون هذه الحاجة فيهملونها وبذلك يحرم الأطفال هذه النعم الرخية ، وكثير منهم — ولا سيما فى المدن — يعيشون فى حجرات مظلمة مقفلة رطبة ، فتعتل صحتهم وينتابهم فقر الدم والكساح .

والطفل بحاجة إلى النظافة، نظافة الجسم والثوب ، والفراش ، حتى لا تجذب الأوساخ إليها ميكروبات الأمراض والطفيليات ، الضارة كالقمل والذباب، وطفيلى الجرب وغيرها وما من شك فى أن بعض الوالدين يهمل نظافة الأطفال تساهلا وجهلا .

هذا من الناحيـة الجسمية ، أما الناحية الخلقية والاجتماعية ، فالطفل سريع التقليد جيده فهو يرى و يسمع و يلمس و يشم ، و يتصور و يتخيل ، وهو يحاول مع هذا أن يحاكى أولئك الذين يحيطون به من الكبار ، وممن هم فى سنه ، فيحاكيهم فى لهجتهم وفى ألفاظهم وفى سلوكهم مـع غيرهم لأنه يعتبرهم مثـــله العليا . ولذلك وجب علينا معشر الوالدين أن نكون حريصين فيما نقول وما نفعـل أمام أطفالنا ، فلا نستعمل من الألفاظ النـابى القبيح ، ولا نأتى من الأفعال الشائن المزرى .

و ينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

ولمـا كان رفاق الطفل يؤثرون فى سلوكه ، لأنه ميال لمحاكاتهم ، كان علينا أن نختار صالح الرفاق ، وكثيرا ما ندهش لسماع أطفالنا يفوهون بعبارات قبيحة لم يسمعوها فى وسطهم العائلى و يأتون بأعمال شائنة لم يروها من أفراد أسرتهم . ولكن لو تتبعنا أصـل كل هذا لوجدناه فى رفاق السوء ، وقـد يقال أنه من الصعب أن يفصل الطفـل عن أبناء حارته وجيرانه . ولكن هـذا لا يمنع الآباء من أن يحاولوا اختيار الرفاق ، وأن يمهـدوا لخلق الصداقات بين أطفالهم ومن يختارون لهم من الأطفال كريمى السلوك . على أنه من الواجب أن لا تترك الكلمة النابية أو الفعلة الشائنة تمر من غير استهجان واستنكار ، ظنا منا أن الطفل ما زال طفـلا ، لأن سكوتنا على ما لا نرضاه من سلوك الطفل إقـرارا منا لعمله ، وهو ما يدفعه لتكراره . وهنا يرى المربون أن من خير وسائل التوجيه والاصلاح الايحـاء . وأصله ميل فطرى عند الطفل — والكبير أيضا — يجعله يتأثر بافكار غيره واعتقاداته و يقبلها من غير معارضة ، ولو لم يكن لها أساس من العقل والمنطق والطفـل سريع التأثر بالايحاء فمثلا يستطيـع الوالد — أو الوالدة — أن يؤثر فيه اذا ما أتى شيئا منكرا بقوله "أنا غير راض عن هذا" أو" هذا لا يعجبنى" أو" هذا لا يليق بك" أو" أنا لا أحب أن أفعل هذا"، وكما أن الايحاء وسيلة للاصلاح ، قد يكون كذلك وسيلة لليأس واضعاف الهمة والفشل ، فمن الآباء من إذا أخطأ أمامه الطفل وجه اليـه عبارات التثبيط ، كأن يقول له " انت دائما خايب" "أنا عارف عمرك ما هتنجح " فهذا النوع من الايحاء يصدم الطموح عند الطفل و يوصد أمامه باب الأمل ، ولقد كان جان جاك روسو المصلح الاجتماعى الفرنسى يتخذ مع اميل — الطفل الخيـالى الذى أراد تربيته — طريقة المقارنة الايحائية ، فيقول له : أنت اليوم خير منك بالأمس . أو يقول له" ما كنت أتوقع أن تكون اليوم أسوأ مما كنت عليه بالأمس" و بهذه الطريقة يشعر الطفل باحترام نفسه ورغبته فى استدراك مافرط منه .

ومما يؤخذ على الآباء والأمهات لجوئهم إلى تخويف الطفل ، بالأشـياء الخيالية أو الأصوات المزعجة كوسيلة لاسكاته وتقبله أوامرهم ، وهـذا خطأ كبير ، يظل أثره مستمرا فى حياة الطفل حتى فى سن الرجولة ، فمن الأمهات من تخوف طفلها ، بالعسكرى

والحرامى والعفريت وأبو رجل مسلوخة والغول المختفى فى الظلام ، وبهذا تنمو فكرة الخوف عند الطفل حتى تصير حقيقة مجسمة. نعم قد يتغلب عليها عند ما يكبر و يتجاوز سن الطفولة ولكن هذا التغلب هو نوع من الكبت والمثيرات ، لم تمح نهائيا ، بل تظل فى العقل الباطن و يروى لنا أحد علماء التحليل النفسى أن ضابطا فى الجيش كان يذعر من وجوده فى الخندق أثناء الحرب و يرتعد خوفا وأنه هرب منه مرة إلى خط القتال الأمامى حيث الخطر المباشر فلما فحصت حالته تبين أن والدته كانت تعاقبه فى طفولته بحبسه فى حجرة مظلمة ضيقة ، وأن الحادث قد نسى ، ولكن ظل فى العقل الباطن .

وقد اختلف علماء التربية فى أيهما خير ، أن يؤخذ الأطفال فى السنوات الأولى إلى مدارس الحضانة ، ومدارس الأطفال ليربوا تحت أشراف مرشدات متخصصات ، أو أن يتركوا فى رعاية الأسرة والأمهات الجاهلة ، حيث العطف والحنان الطبيعى وخلاصة هاتين الوجهتين أنه اذا لم تكن الأسرة خبيرة بشؤون الطفولة وقادرة على تربية الطفل تربية علمية صحيحة فالأولى أن يرسل الى المحاضن ومدارس الأطفال ، وما أكثر هذه المؤسسات فى أوربا .

وبعد — سيداتى وسادتى ، فهذه كلمة موجزة عن واجبنا نحو أولادنا الذين قال فيهم الشاعر العربى :

وانما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عينى من الغمض

عبد العزيز عبد المجيد
المدرس بمعهد التربية العالى

من اعجب ما قرأت فى تاريخ الأدب المسرحى

للأستاذ دريني خشبة

الأستاذ بالمعهد العالى لفن التمثيل العربى

(١)

فى تاريخ الأدب المسرحى حقائق تشبه الخيال ، ولعل أولى هـذه الحقائق وأقدمها جميعا ؛ أن مصر التى تجاهد اليوم صادقة فى خلق مسرحها القومى ، كان لها مسرح قومى دينى منذ خمسة آلاف وخمسمائة سنة ، كما كان لها كتابها المسرحيون ونقادها المسرحيون منذ ذلك التاريخ ، فقد اكتشفت حديثا الدرامة المنفية ، أو تمثيلية بدء الخليقة التى ترجع الى زمن الملك مينا ، كما اكتشفت ألواح حجرية تثبت وجود النقد المسرحى فى مصر منذ ذلك التاريخ أيضا .

ولعل الفتاة المصرية هى الفتاة الأولى فى العالم كله التى كان لها شرف التمثيل المسرحى فى هذه الدرامات الصحيقة فى القدم ، والتى لم تكن تؤدى فى مسرح مبنى خاص ، بل كانت تمثل فى المـدينة كلها ، وعلى شاطئ النيل أحيانا ، وان كل جزء كبير منهـا يمثل داخل الهيكل ، أو معبد المدينة .

ومن أظرف ما أثبته تاريخ الأدب المسرحى فى مصر القـديمة أن حضرات أصحاب الجلالة والسمو ، الفـراعنة والأمراء ، كانوا يقومون أحيانا بأدوار الملوك والأمراء فى هذه التمثيليات ... فعندما كانت تمثل درامة التتويج — أو تمثيلية تتويج الملك أوسرتسن الأولى ، ابن الملك امنحت الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، وذلك فى عيد جلوسه على العرش من كل عام ، كان يضطلع هو أحيانا بدور الملك ، كما كان أكبر أمراء الأسرة المـالكة يقوم بدور الملك المتوفى ، وكان معظم الأمراء يشتركون فى التمثيل ، كما كان يشترك فيه كبار الكهنة .

(٢)

أما تاريخ المسرح اليونانى ، الذى يلى المسرح الفرعونى فى القدم ، فملىء بالعجائب حقا... ولعل أولى هذه العجائب بالذكر هى عجيبة الاخراج .. اذ كان الشاعر ، أو المؤلف المسرحى ، يعرض نفسه وأدبه وفنه على أحد أغنياء أثينا لينهض عنه بمصروفات الاخراج ، فيتعهد هذا الفنى بالنفقة على جميع أعضاء الفـرقة التى كانت تتكون من واحد وخمسين شخصا ، منهم الممثلون الثلاثة الذين يؤدون الأدوار الرئيسية ، ثم أعضاء فرقة المنشدين ، أو الخورس .

ولعلنا نعلم جميعا أن الدولة الأغريقية فى عهد بيركلس كانت تدفع أثمان التذاكر لشهود التمثيل ، وكان ثمن التذكرة زهيدا لا يزيد على أوبولين أى أن ثمن التذكرة لم يكن يتجاوز القرشين ونصف القرش الا قليلا ... وذلك لتشجيع الاثينيين جميعا على شهود التمثيل الذى كانت تعده المعين الأول للثقافة الشعبية ، والمعهد العالى الذى يتولى التهذيب والترتيب ... كلنا يعلم ذلك ... ولكن الذى عجبت له أشد العجب ما قرأته من أن الدولة كانت تشتد فى مؤاخذة الذين يهملون شهود التمثيل ، وأنها كانت تنذر المتخلف مرة واحدة ؛ وتعزر من يتخلف مرتين ، ثم تحبسه ثلاثة أيام اذا تخلف عن شهود التمثيل ثلاث مرات ! !

ومن أطرف ما نجده فى تاريخ المسرح اليونانى تخصيص يوم من أيام التمثيل فى أحد الأعياد الدينية القومية ، يمنح فيه الشعراء الكوميديون — أو ممثلو الملاهى ، الحرية التامة المطلقة فى نقد رجال الحكومة وتجريحهم والسخرية بهم ومصارحة الشعب بمساوئهم . بشرط ألا يجرحوا مشاعر ممثلى الدول الأجنبية ، وألا يسيئوا الى علاقة أثينا باحدى تلك الدول ، فكانت هذه وسيلة من وسائل الديمقراطية الأثينية فى تقويم اعوجاج الزعماء السياسيين ، فكانوا يعملون لها ألف حساب !

(٣)

ويفيض تاريخ الأدب المسرحى اللاتينى بالمضحكات العجيبة . ففى أواخر القرن الأول المسيحى انحطت المهازل الإيمائية — أوال انحطاطا خلقيا كبيرا ، فلم يكن مؤلفو هذه المهازل ، وممثلوها ، يعنون بشىء عنايتهم بمغازلة غرائز الجمهور الدنيا ، فغلوا فى عرض مناظر الفسق فى أبشع صورها ، وعرض مناظر التعذيب اذا كان سياق المهزلة يستدعيها . . . وهنا . . . كانت الدولة تصرح لمدير المسرح باستعارة أحد المجرمين ، ممن حكم عليهم بالاعدام مثلا ، ليمثل به فوق المسرح أخس ضروب التمثيل ، فيضرب ، ويطعن بالخناجر ، أو تفقأ عينه ، أو تصلم أذنه ، أو يبتر أحد أعضائه . . . . والجمهور بين هذا وذاك يضج بالضحك ، ويتلهى بهذه المناظر الدامية .

وليت الشر وقف عند هذا الحد . . . فقد كان المديرون يستخدمون بنات الهوى فى القيام بأدوار المجون والعشق الأسود ، لأنها من عملهن الطبيعى ، ولأن المهازل الايمائية كانت تغنى فيها الحركات والاشارات عن الحوار وعن الكلام ، مما تجيده بنات الهوى وتختص به ، مما أفزع رجال الدين الجديد وأقض مضاجعهم ، ومما جعل كلمتهم تتفق على محاربة المسرح ، صالحه وفاسده ، وقد أشد الامبراطور قسطنطين أزرهم حينما قرر أن

تكون المسيحية دينا رسميا للامبراطورة الرومانية فى أوائل القرن الرابع فوضعوا قرارا بحرمان كل ممثل يجرؤ على اعتلاء المسرح ، ليفتن المؤمنين عن دينهم الجديد بالترويج للوثنية القديمة والدعوة لها .

ونشط رجال الدين فى الامبراطورية الرومانية الشرقية كذلك لمحاربة المسرح الذى اكتسحت موجة المهزلة الايمائية اكتساحا ساحقا هو الآخر، وكانت أمهات المدن فى هذه الامبراطورية عامرة بمسارح كبيرة لا تقل عن مسارح رومه والمدن الايطالية الكبيرة الأخرى ، فكانت مسارح القسنطينية وأنطاكية وغيرهما تعرض أحط ضروب هذه المهازل وأشنعها ، مما هوى بمنزلة الممثلين والممثلات وأزرى بمقدار المسرح ، وجعله خطرا قوميا عاما على الأخلاق ، فاستصدر رجال الدين من الامبراطور أمرا يقضى بمنع زواج أعضاء مجلس الشيوخ وكبار رجال الدولة من الممثلات ، حفظا لكرامة المناصب ! !

وبالرغم من جهود رجال الدين فى محاربة المسرح فى كلتا الدولتين الرومانيتين الشرقية والغربية فقد ظل إقبال الشعب على شهود المهزلة الايمائية الماجنة على أشده ، وكان الحكام أنفسهم يمدون ظل رعايتهم على هذا المسرح المنحط ضد رجال الدين . ومن أطرف ما حدث فى أواخر القرن الرابع ، أنه عندما حدثت تلك المجاعة المهلكة فى رومة فى ذلك العهد . وأخذ الناس يهاجرون من المدينة إلى الأرجاء الغنية من ايطاليا حيث تتوفر الأقوات ، خاف رجال الحكم من أن يهاجر الممثلون والممثلات فأصدروا أمرا بمنع ثلاثة آلاف منهم من الهجرة . بحجة أنهم ضرورة من ضرورات الترفيه الشعبى الذى لا غنى للأهلين الجياع عنه فى هذه المجاعة المرعبة . وقد كان هذا الأمر مصدرا لذلك الرق الذى فرض على الممثلين فرضا بعد ذلك التاريخ ، فلم يكن أى ممثل يستطيع أن يترك مهنة التمثيل إلى مهنة أخرى ، بل لم يكن لأبنائهم حرية اختيار المهنة التى تروقهم ، إذ كان مفروضا عليهم أن يكونوا ممثلين كآبائهم . وهل رق بعد هذا الرق ؟ !

وقد أنقذ الممثلين من عبودية التمثيل رجل من رجال الكنيسة هو القديس أمبروز إذ استصدر أمرا يعفى كل من اعتنق المسيحية من الممثلين من رق التمثيل ، فتكون له ولأبنائه حرية اختيار المهنة التى يفضلها .

(٤)

ومن طرائف تاريخ النهضة المسرحية — فى انجلترا على الخصوص — هذه المزادات التى كانت تجرى بين أحياء المدينة الواحدة ، لتقرير الجهة التى تمثل فيها درامات ذاك العهد ، أى فى القرن الخامس عشر المسيحى ، فقد كان الشارع هو مكان التمثيل ، وكان الناس يحتشدون من كل مكان للتفرج وتزجية الوقت ، فلما اشتد اقبالهم على شهود التمثيل ،

انتهز مديرو الفرق تلك الفرصة ، وابتكروا تلك المزادات ، فكانوا يتوجهون بقائمة المزاد إلى معظم أغنياء المدينة ، وكان الغنى الذى يدفع للفرقة أكبر مبلغ هو الذى يفوز بتمثيل الرواية أمام منزله ، وحدث ما شئت عن روح الحيلاء التى كان ذلك الغنى يشعر بها عند ذاك ، إذ كان يجلس مزهوا منتفخ الأوداج فى طنف منزله ، ومن حوله ضيوفه ومدعووه ، وأهل منزله ، وقد غص الشارع بنصف سكان المدينة على الأقل ، وهم وقوف طول مدة التمثيل ، والغنى يجيل فيهم ناظريه كأنهم رعاياه !

ومن أعجب الشخصيات الأدبية التى يعمر بها تاريخ المسرح الاسبانى فى عصر النهضة شخصية الكاتب والشاعر المسرحى الأشهر لوب دى فيجا . . الذى كان آلة ولكن من دم ولحم ، للانتاج المسرحى . . . فقد كتب هذا الشاعر العجيب ألفا وثمانمائة درامة مثلث كلها على المسرح الاسبانى . . . وكتب أولى دراماته الرائعة وهو فى سن الثالثة عشرة .

(٥)

وننتقل الآن نقلة واسعة تصل بنا إلى الأدب المسرحى الحديث ، ولنقتصر على ذكر بعض الطرف الغريبة فى المسرح السوفياتى ، إذ أوشك الوقت المقدر لهذا الحديث أن ينتهى . . . ونحن لسنا من أنصار الفن المسرحى فى روسيا السوفياتية ، لأن معظمه يهدف إلى الدعاوة وإن عنى أحيانا بالفن المجرد من الغاية السياسية . . فمن يصدق أن فى روسيا اليوم أكثر من سبعة وعشرين ألف دار للمسرح ؟ ! ومن يصدق أن روسيا كانت ترصد للمسرح من ميزانيتها أكثر مما ترصد للنشآت العامة ؟ ومن يصدق أن فى روسيا جملة شعوب اسلامية لها مسارحها وكتابها ونقادها المسرحيون الذين تباهى بهم روسيا أقدر الكتاب والنقاد المسرحيين فى العالم كله ! . . . ومن يصدق أن فى باكو على بحر قزوين ، مسرحا اسلاميا لا يقل فخامة ولا إنتاجا ولا فنا عن أرقى مسارح أوربا .

ومن يصدق أن قبائل الغجر فى روسيا لم تكن لهم كتابة ولا لغة أدبية حتى سنة ١٩٢٦ ، أى من منذ تسع عشرة سنة ، فزارهم فى تلك السنة عالم روسى ، فوضع لهم ألف باء لغتهم ، ولم يلبثوا هم أن أقبلوا على تلك الأبجدية العجيبة فتعلموا الكتابة بها ، ولم تمض سنوات عشر حتى أخذ جيل من أدباء الغجر يظهر فى روسيا بقصصه ومقالاته ودراماته ، وإنه لم تأت سنة ١٩٣٢ حتى أنشئ أول مسرح غجرى فى روسيا ، وأن للغجر اليوم تسعة وعشرين مسرحا من أرقى المسارح الروسية ، وأن لهم أكثر من ثلاثة آلاف درامة مشهورة ، كثير منها بالشعر ، وكثير منها شق طريقه إلى المسارح الروسية ، بل بعضها يمثل اليوم فى مسارح كمتشتكاف أقصى طرف سيبيريا الشرق .

هذا قليل من كثير مما يطالعنا به تاريخ الأدب المسرحى ، الذى هو من تاريخ الانسانية فى مختلف مدارجها .

دريني خشبه

الصيحة الجديدة (*)

للأستاذ عبد الرحمن العيسوى

سيداتى وسادتى

لم يخل هذا الوطن دائما — فى أشد عصور ضعفه — من شعلة تضىء ظلام الضعف وبصيص ضوء يذكى أمل المتفائلين ، وصيحة مخلصة توقظ النائمين ، ويكاد عصر النهضة المصرية الحديثة ينتقصه شيوع الجهل والمرض والفقر فى أمتنا العزيزة . بل يشهد هذا التاليوث بنا عن تقدمنا ، وقد تصايح شباب الجيل المصلحون ، صيحة اليقظة والامتنجاد وظلت هذه الصيحة تتجاوب وتتردد وتتضخم ، بغية تحرير المصريين من الظلام الرابض على آفاق نهضتهم ، والكابوس الجاثم فوق صدر حضارتهم .

واذا كان بدء وزارة الشؤون الاجتماعية بدءا موفقا فى محاربة الأمية ونشر الثقافة الشعبية ، أثرا طيبا لهذه الصيحة الجديدة المخلصة من جمهرة الشباب الوطنيين المخلصين يقينا منهم ومن الوزارة بأن محاربة الجهل عامل أساسى بالغ القيمة فى القضاء على الفقر وعلى المرض ، ويجئ دور ثان فى هذا الكفاح الوطنى النبيل هو مساهمة الأمة ، شبابها الممتاز وجمهورها المتعطش ، فى انجاح القصد وبلوغ الغاية .

أما الشباب المتعلمون فليتعاونوا مع الوزارة على جهودها تعاونا إيجابيا للدعوة الى الاقبال على الفرصة المتاحة للأميين ، حتى ترقى بهم الثقافة الميسرة لهم ، وتعاونا بالمساهمة العملية فى هذه الجهود المبذولة لغرض الاصلاح والقيود ، ليتيسر لنا أن نضمن النتائج ونختزل الزمن .

حضرات السيدات والسادة :

فضل العلم فى ذاته بدهية لا تحتاج الى براهين وحسب العلم أن القرآن الكريم يقول فيه عشرات الآيات تمجيدا للعلم وتفضيلا للمتعلمين .

(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، (وما يعقلها إلا العالمون) ، (وإنما يخشى الله من عباده العلماء) ، والعلماء هنا لا يقصد بهم الفقهاء وإنما العلماء بحقائق الوجود (إن فى ذلك لآيات للعالمين) .

(*) أذيعت فى البرنامج الثقافى لاذاعات الوزارة .

وحسب العلم أن المرشد الاجتماعى الأول والمصلح الأعظم المؤيد محمدا صلى الله عليه وسلم يقول (أطلبوا العلم ولو فى الصين) و (واطلبوا العلم من المهد الى اللحد) و (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) .

من ذلك يتبين أن السن المتقدمة لا يجوز أن تكون مانعا من طلب العلم استحياء أو تكاسلا ولا يجوز أن تكون المشقة مهما بلغت حائلا دون طلب العلم ولا يجوز الاشتغال بأمور المعاش عقبة فى سبيل أداء فريضة التعلم .

ومن ذلك يتبين أن اختيار وزارة الشؤون الاجتماعية هذا الأسلوب فى انهاض الجماعة المصرية ، وتحرير الشعب من أغلال الفقر والمرض والجهل، هو الأسلوب الصحيح السليم فى نظر الدين والتجربة ومنطق الحياة نفسه ، فليس يصح بدن رجل يجهل قواعد الصحة ولا يبرأ مريض يجهل أن عليه أن يتطلب ولايعلو مستوى معيشة جاهل بحقوقه وواجباته، قاعد لجهله عن السعى فى تحسين حاله وحال طبقته بالوسائل التى ييسرها له التعلم. والآفاق الفسيحة التى يفتح عينيه عليها الادراك والمعرفة .

إن لكل بلد يا حضرات السادة ظروفه التى تجب ملاحظتها عند الشروع فى اقامة نهضته وان أول الأشياء فى بلدنا وأولاها بالالتفات هو هذا الجهل والظلام المتكاثف الجهل بكل شىء، الجهل باللياقة، الجهل بالدين، الجهل بالاقتصاد البسيط ، الجهل بقواعد الصحة الجهل بما يعلو عن هذا المستوى من أساليب المعرفة . الجهل بنظريات علم الاجتماع فى تنسيق حياة الجماعة وتحديد صلاتها وتحقيق تجانسها ونهوضها ، الجهل بالقوانين ، الجهل بالأنظمة العرفية الاجتماعية فى مختلف حياة الجماعات، ووسيلة العلم بهذا كله هو معرفة القراءة والكتابة ، لأنها تيسر للقارئ الكاتب أن يقرأ ويعرف ويفهم ويتطور ذهنه واتجاهه ، تطورا يحقق صالحه وصالح الجماعة التى يعيش فيها .

لقد كان زمان يخشى فيه من نشر العلم بين المصريين حتى لاتتفتح عيونهم على حقوقهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والوطنية ثم مضى هذا الزمان ، وفكر المصلحون والحكام فى النهوض الجاد بشعبهم ومواطنيهم فلم يختلفوا على الوسيلة، بل اجتمعوا على أن محو الأمية هو خير الوسائل وأجداها وأحقها .

سيداتى سادتى .

إن الرجل المتعلم ، القارئ ، الكاتب ، يعلو مستواه ويرتفع قدره فى نظر نفسه ونظر الناس ، وهذه سنة الحياة والطبيعة . فهذا المتعلم لن يرضى لنفسه أن يعيش فى ظل التواكل وهو يحسبه توكلا ، والخنوع وهو يحسبه قناعة ، والظلم وهو يحسبه تسليما واختيارا .

لن يرضى المتعلم لنفسه — بفضل التعليم — أن يكون فى مستوى البهائم ، وسيرتفع بذاته وبطبقته — بفضل التعليم — إلى المستوى اللائق بالكائن البشرى ، بل إلى المستوى الإنسانى المنشود لأبناء الانسانية . . . سيتخلص من أسباب المرض بالوقاية منها ، بفضل ما تعلمه ، وسيتخلص من المرض فى نفسه وفى أسرته بالتطبب والعلاج ، بفضل ادراكه الواجب عليه نحو نفسه ونحو وطنه وقومه. وسيتخلص من الفقر فسيعرف كثيرا من أسباب التخلص منه ، سيعرف الأساليب المهنية المساعدة على الانتاج الجيد والوفير فى عمله أيا كان عمله — وسيعرف الأسباب المحققة لتربح الأكثر وسيعرف من قواعد الاقتصاد وأصوله ما يهيىء له حياة اقتصادية أرقى وأسعد .

وسيعرف واجب الجماعه نحو نفسها ، فتصوروا جماعة أى شعبا كله فاهم واجبه وكل فرد فيه متعلم ما عليه وما له . انها تكون جماعة سعيدة بالمعنى الصحيح الكامل لأنها ستدرك أن خيرها وارتقاءها وتقدمها المادى والأدبى منحصر فى أن تتكاتف على سلامة أفرادها وتوفير راحتهم .

إن التفاوت بين الناس أيها السادة مصدره الأول هو الجهل ، الجهل هو الذى يباعد بين نفوس أهل البلد الواحد ويفرق بين اتجاهات عقولهم وأرواحهم ، وينفر الفاهم من غير الفاهم . ويخلق شعورا بالأفضلية عند قوم . وشعورا بالهوان والضعة عند آخرين . فاذا حطمنا الجهل وهو مانحن واصلون إليه إن شاء الله (فقد عزمنا وتوكلنا) حطمنا إذن أسباب التفاوت الفظيع ، ولم يبق إلا التفاوت الذى تقتضيه طبيعة نظام الجماعات فى الدنيا كلها والتاريخ كله والأديان جميعها .

حضرات السادة والسيدات :

ان الفلاح المتعلم هو ناخب سليم الادراك ، صحيح الاختيار ، وهو صانع مجيد وافر الإنتاج ، وهو زوج صالح ، ووالد يحسن القيام على أسرته ، وهو مواطن نافع قوى سليم من العلل ميسر العيش ، وإن الصانع المتعلم ، تعاونى نقابى ممتاز ... وسوف لا تقتصر وزارة الشئون الإجتماعية فى مكافحة الأمية على تعليم الناس الهجاء والمطالعة ، ولكنها تنشر فى هؤلاء الناس — قبل المكافحة وأثناء المكافحة وبعد المكافحة — الثقافة الشعبية الضرورية لهم فى حياتهم الإجتماعية بفروعها . المهنية والعائلية والشخصية والوطنية والإقتصادية .

إن الدليل البليغ الواضح على أن العلم أساس كل إصلاح ودعامة كل نهضة . ماثل فيما قدمت لكم من مثال . وماثل أكثر وأكثر فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم بدأت رسالته بقول الله تعالى له (إقرأ) فقال ما أنا بقارئ . فغطه الملك، أى ضمه ، حتى أتعبه الضم، فمنح بهذا الضم على سبيل المعجزة موهبة القراءة وقيل له (إقرأ باسم ربك الذى خلق) فبدأت رسالته صلى الله عليه وسلم بأمره بالقراءة . إذ أن القراءة أساس الإدراك والفهم والمعرفة ، وسبيل الإرتقاء والنهوض والتقدم .

أيها المصريون . أيها الشباب المتعلم . . ساهموا فى خدمة مجتمعكم وحطموا هذا الخصم العنيد القديم لنهضة وطنكم — الجهل — وعاونوا جهود وزارة الشئون الإجتماعية ، فانشروا المعرفة معها بكل وسائل النشر ، وليس من الضرورى أن يكون ذلك فى موعد بعينه ومدرسة بعينها ، بل فى النوادى والمقاهى والمجالس الخاصة والعامة .

أنشروا الثقافة والفهم إن يكن نشر التعليم يقتضيكم أسبابا ليست ميسرة لكم فعاونوا بذلك الجهد جهد وزارة الشئون الإجتماعية لتساهموا فى بناء الوطن الجديد .

أيها المصريون . . أذكروا أنكم أصحاب أقدم مدنية فى التاريخ . وأنكم كنتم فى الذروة من العلم والفن عندما كانت الإنسانية ماتزال تتخبط فى ظلام الجاهلية الأولى . فعليكم الآن أن تنهضوا من جديد لتصلوا حاضركم بماضيكم البعيد ولتتبوأوا المكان اللائق بكم بين الأمم .

ومن حسن الطالع و بشريات النجح أن على رأسكم ملكا شابا يكرم العلم والعلماء . فسيروا تحت لوائه نحو المستقبل المشرق الجدير بمن ورثوا مجد وحضارة العرب . كونوا ياشباب مصر طليعة فى مواكب الأمة .

عبد الرحمن العيسوى

الصناعة وأثرها فى كياننا القومى

للأستاذ محمد صبحى الدغشى

كانت الفكرة منذ أمد بعيد لدى كثير من الأوساط المصرية وعند معظم الأجانب المستوطنين فى بلادنا أن مصر ستظل بلدا زراعيا بحتا الا أن الحكم بهذا التخصص لا يخلو من التعسف لأن الصناعات المصرية قد تطورت وخطت فى أيامنا هذه خطوات واسعات فى طريق التقدم والتطور .

إن موقف مصر فى هذا الوضع شبيه بموقف الصياد الذى يذهب لاصطياد الوحوش الضارية ومعه سهم واحد فى قوسه .

هذا هو حال بلادنا تماما أمام الحالة الاقتصادية القادمة بين الأمم فهل نغامر فيها وكل ما نملك من السلاح لا يتعدى نوعا واحدا ألا وهو القطن .

لقد أضحت الزراعة فى الوقت الحاضر غير كافية لحاجات الأمم فلا غرو أن اعتمدت مصر من الآن فى حياتها على هذا المورد الغزير مورد الصناعات التى لن يقوم بدونها للمدنية أدنى رقى . لقد اثبتت الظروف الحاضرة أن مصر أصبحت تفتقر الى الصناعات افتقارها الى الزراعة وأنه قد آن أن نخلق من مصر بلدا صناعيا يساير مصر الزراعية جنبا الى جنب لنبنى حياتنا المقبلة على دعائم راسخة من العلوم والفنون ولنسير فى طريق الاستقلال الاقتصادى كما هو شأننا الآن فى حياتنا الاجتماعية . نريد أن لا نقنع بالوقوف فى أماكننا وإنما نريد أن نسير وأن نسير دائما فى طريق الصناعة والفنون ليحق لشباب النيل أن يساهم فى موكب الحضارة والمدنية .

حضرات السادة ، هل استطيع أن أحدثكم عن الصناعات والصناعة فى كل عصر صفحة الحياة ومظهر النشاط فاذا تقدم بها الزمن صارت رسالة الماضى الى الحاضر والمستقبل .

ومصر التى سبقت شعوب الأرض طرا بخسمت الشعور والعواطف والمعتقدات فى الصخر وعلى جدران المعابد وفى داخل القبور والمنازل فهيأ أجدادنا الفراعنة من كل أداة تحفة ومن كل عمل فن . مصر بلادنا وشيكة استعادة هذا المجد بفضل إيماننا ووحى مليكنا الشاب رمز العزة الوطنية ومنتهى الأمل فاروق الأول .

ففى مستهل عصره الحديث السعيد المديد شاءالله أن يتم لمصر عظمة نهضة البناء والاصلاح واحلال روح جديدة فى نفس كل مصرى لا من حيث الحقوق فقط بل من حيث الواجبات والتبعات أيضا . النهضة بشؤوننا الاجتماعية والصناعية من جميع نواحيها هى تركيز زعامة مصر فى الشرق العربى . هذه النهضة هى التى يجب أن تتجه اليها الآن جهود الشباب باعتبارهم

عماد البلاد فى البذل والتضحية. بالأمس محتم عليكم بذل الروح والجهود واليوم يحتم عليكم أن تضعوا علمكم ووقت فراغكم وعزمكم ونشاطكم فى خدمة مصر الحديثة .

قلت وقت فراغكم لأنى أهيب بوقت الدرس والتحصيل لأن الشباب منكم لا يستطيع أن يخدم البلاد الخدمة المثلى إلا اذا كان مزودا بالعلم الصحيح ومسلحا بثقافة حديثة هناك تبعات يفرضها المجتمع عليكم بحكم أنكم الشبان أى أنكم القوة والنشاط والجمال .

فالقوة من معانيكم وخصائصكم وليست هى قوة الجسم ، بل هى قوة الجسم وقوة القلب وقوة الايمان بالله .

ونشاط الشباب كذلك ليس قاصرا على النشاط المادى فحسب بل ولكنه يشمل النشاط المادى والمعنوى . وجمال الظاهر والباطن معا فأما الشاب الذى يعنى بظاهره ويحلى نفسه بالثياب الفاخرة والصور الجذابة من غير أن يعنى بجمال باطنه ومن غير أن يهذب نفسه ويصقلها فذلك انسان مجرد من أهم معانى الشباب وخصائص تلك القوة فى الجسم والنفس والقلب وذلك النشاط المادى والمعنوى . وهذا الجمال الصورى والروحى والخلق هى المثل العليا للشباب . وكما أننا نمارس الرياضة البدنية بأنواعها لتقوية أجسامنا فلزام علينا أيضا أن نمارس أنواع الفنون التى تهواها والعلوم التى ترضاها والصناعات التى تليق بنا لنكون من الفن والعلم والصناعة قوة فى القلب وقوة فى العقل ولنستطيع بالفن والعلم والصناعة أن نكافح فى معترك الحياة ولما كانت الصناعة أسمى مظهر من مظاهر العقل الانسانى وأدق مقياس لتطور مدنية الشعب . لذلك أود لشباب العمل أن يهوى الشباب الصناعة وهى عمل شريف وميدان فسيح ما دام القائمون بها يعملون بكل عزم واخلاص وأمانة ولا نجاح للخمول فى الصناعة ولا صناعة مع خمول بل وليس للخمول حظ مع الحياة لأن الحياة نضال مستمر لا يفوز فيها الا العامل النشط . والصناعة فى حاجة قصوى الى التطور والتجديد ولا يتوفر ذلك الا لحب الاطلاع لاستنباط الطرق الحديثة والوسائل المبتكرة المؤدية الى نجاح الصناعة ورواج المصنوعات فى مصر وغير مصر .

وأما القول بأن الصناعة عمل لا يصلح الا للعمال وحدهم ولا يجوز بمثقف أو عظيم الاشتغال بها حتى ولا التفكير فيها فكلام لا معنى له لأن بقاء الأمم موقوف على الصناعات فى حياتها وجميع شؤونها الاجتماعية ونظرة بسيطة الى ما حولنا والى الحياة التى نحياها فى بلادنا بل فى بلاد العالم نرى صناعات فى صناعات .

أما النشاط الصناعى فى مصر فانه مازال فى دور البداية لأن عبء تركيز الحركة الاقتصادية القومية ما زال الكثير منها واقع على الحكومة ولا نزاع على احتماله منذ أعلن استقلال البلاد فى سنة ١٩٢٢ على الرغم من أن الادارة الحكومية لم تكن وقتئذ على استعداد للقيام بمثل هذا

العبء الثقيل . الواقع أن السلطات العامة ظلت من سنة ١٩٢٢ تعمل من ذلك الحين وهى تكاد تنصرف عما له ارتباط بالشؤون الصناعية بأى مسائل أخرى غير ما كان منها متعلقا بالزراعة وتصدير الانتاج الزراعى وكل ما تعدى هذا الحيز الضيق كان يعتبر أمرا ثانويا كان تابعا للسياسة الزراعية وخاضعا لأحكامها وضروراتها ومادام الأمر كذلك فلم يبق محلا للاندهاش اذا عرف أن من تولوا أمر الصناعة حين اعتزمت مصر تحويل سياستها الاقتصادية نحو الوجهة القومية كانت تنقصهم الأسانيد الفنية وليس بجانبهم وقتئذ من شبان مصر الاخصائيين العدد الكافى للنهوض بأعباء المهمة الجديدة الملقاة على عاتقهم الخاصة بالحالة الاقتصادية العامة بالشؤون الصناعية بوجه خاص .

ولما كانت الأمم العظمى فى يومنا هذا لا يحق لها أن تزعم أنها بلغت نضجها أو قطعت شوطا بعيدا من مراحل النجاح ما لم يكن لها اقتصاد صناعى وطيد الأركان .

ولا يصعب ذلك لأن النشاط الاقتصادى والعلمى والعقلى فى مصر إن لم تعضدهما الصناعة متضى علينا أن نتهى جامدين لا نتعدى حدود طورنا هذا . وليس هناك من ينكر أن فى وسع البلاد غير الصناعية أن تتعامل مع غيرها بفضل سهولة التبادل وسرعة ما تحتاج اليه من المنتجات وهذا كان حال مصر قبل الحرب العظمى الأولى يوم كان اقتصادنا زراعيا بحتا وما برحت بلادنا تفعله إلى حد كبير غير أن ذلك لا يتيسر إن لم يكن للبلاد إنتاج زراعى وافر يمكننا أن نشترى من البلاد الأجنبية جميع ما نحتاج اليه من المنتجات الصناعية . هذا كان شأن مصر قبل ازدياد عدد السكان و يوم كان دخلها الزراعى كافيا لسد حاجاتنا المتزايدة إلا أن هذه الحالة ما لبثت أن تبدلت من نحو ثلاثين سنة تبدلا تاما بسبب تزايد عدد السكان وازدياد حاجاتنا كثيرا على دخل البلاد الذى أخذ يتناقص فى مجموعه بنسبة هبوط الأسعار الدولية فتناقص فى أثره دخل كل فرد من أفراد الأمة المصرية هذا فضلا عن أن هناك عددا متزايدا من الشبان أصبحوا لا يجدون لهم عملا فى الزراعة أو التجارة أو كانوا يتوقون ولا سيما خريج الجامعة والمعاهد العليا الى الاشتغال بما هو أرق من الأعمال الزراعية وأوفر ربحا يتفق و إجازاتهم العلمية مضافا الى هذه الضرورة المادية طموح الشباب بحق إلى قسط أكبر من الاستقلال الاقتصادى و رفع المستوى الاجتماعى .

فهذه الرغبات والمطامح أى إنماء الدخل القومى وتوفير رفاهية الأمة عامة وطبقات العمال خاصة والسعى فى تشغيل المتعطلين من شباب الأمة فى أعمال أرقى من الزراعة من الوجهة الاقتصادية والفكرية والطموح الى الاستقلال الاقتصادى والرغبة فى ترقية العمال

من الوجهة الاجتماعية واستقلال جميع الثروات الأهلية وترويج الإنتاج الزراعى محليا كل هذه الأشياء لم يكن لها سبيل إلى بلوغها إلا عن طريق الصناعة كما هو شأن مصر اليوم .

والصناعة لا شك هى أسمى مظاهر النشاط الاقتصادى ونطاق العمل فيها لا يقف اتساعه عند حد إذ أن هذا الاتساع لا يتوقف أمره كما هو الحال فى الزراعة على عنصر ثابت بعد الأرض لا يتغير أى المساحة الصالحة للزراعة بل على ما فى الشباب من قوى كامنة يمكن استخراجها وعلى ما تحتاج اليه البلاد من مصنوعات وما فى مصر من خامات وأنوال والصناعة ورفاهية العمال عامل من عوامل تكاثر السكان وأعظم مصدر للنشاط الابتكارى كما أن رفاهية العمال تؤدى حتما إلى ازدياد الحاجات وتوفر المال وهما العاملان الضروريان للإنتاج .

فلهذه العناصر المادية والمعنوية تتركز أسباب النهضة الصناعية فى مصر وهى التى تبرر قيام الصناعة فى البلاد وهذه العناصر مع مزايا الصناعة الاقتصادية والاجتماعية هى التى يتعين على الشبان من أجلها أن يوطدوا العزم على تدعيم منشآتنا القومية .

ولو نظرنا الى هذا الموضوع من الوجهة العامة لأمكننى أن أجزم أنه لولا الصناعة لما تمكنت مصر من المحافظة على توازنها الاقتصادى وأنه بفضل الصناعة تستطيع الشبيبة المصرية أن تنظر إلى المستقبل بعين قريرة وأن تنشئ لها فى الحياة طريق العزة والمجد .

هذا دليل على مبلغ أثر الصناعة فى الاقتصاد القومى أما أثرها من الوجهة الاجتماعية فإنه يتعين على من يعمل فى فرع من فروعها أن يكون له من الاقدام وبعد النظر والمثابرة على العمل واحتمال التضحية وملكة الابتكار والثقافة الفنية والخبرة ما يزيد أضعافا مضاعفة على ما يحتاج اليه المشتغل فى غير الصناعات . كما أن متاعبنا نحن الصناعيين أكثر من متاعب غيرنا ولا يمكن التغلب عليها إلا بدوام الاعتماد على هذه المزايا ، ولهذا فإن من المجازفة أن يقدم الشباب على الأعمال الصناعية دون أن يكونوا مستعدين لها الاستعداد الكافى فقلما حقق فيها بسبب عدم الاعتماد على تلك المزايا .

لأن تدعيم المنشآت القومية لم تكن مجرد شعور أو رغبة بل يلزم أن يتوافر فينا عناصر جمة لخلق هذا التدعيم وأهم هذه العناصر . الأخلاق ، الفن ، العلم ، حب العمل والصناعة

ولما كانت النهضات التى قامت بها أمثالنا من الأمم لم تكن لها آجال لكى تنمو وتزدهر لذلك يتحتم علينا أن نسير فى أقصر الطرق التى سارت عليها الأمم للنهوض ، ويجب أن لا يتبادر إلى الذهن أن التطور هو السير البطىء أو الجمود كما يجب أن اقول أن الطفره

ليست هى الطيش فالتطور هو الانتقال من الجمود الى العمل بطفرة نحو الهدف نحو المثل الأعلى ، إن مصر بما حباها الله من مكان وما وهب شبابها من أيدى صناع وقرائح وأذهان هى جنة الدنيا وكنز الزمن وأنها قلب المشرق ينبض بالاسعاد فى طول البلاد وعرضها فوطدوا أيها الشباب دعائم صناعة مصر وروجوا منتجات مصر وارفعوا مكانة مصر لتتبوأ مصرنا مكانها السامى كاملة ذات سيادة وعظمة بين الأمم . هل أستطيع أن أحدثكم عما أعتقد من تبعات الشباب نحو مصر ورسالة مصر للشرق ومصرنا وقد انبعثت منها المدنية الأولى على ضفاف النيل العظيم ، تلك المدنية التى سادت الدنيا وبهرت العالمين ، كان آباؤنا قواد المدنية فحملوا شعلة الفنون والعلوم والآداب سنين طويلة أصبحنا مقلدين فى كل شئ وناقلين عن غيرنا كل شئ فكرامتنا تقضى علينا أن نشجع الشباب فى معاهدنا وفى جامعاتنا وفى مصانعنا ليساهم شباب مصر فى تقدم الفنون والعلوم والرفاهية لبنى الانسان .

أيها الشباب إن رسالتكم ستسود وإن بوادر هذه الرسالة قد بدت تتحقق وما يشاهد هنا وهناك من آيات النهوض وأمارات التوثب وما فيكم من عزم وطموح الى المثل الأعلى.

وآية الآيات لعصر سعيد انبثقت أنواره مولاى الفاروق المفدى الممتلىء بحب الشباب المعتز بإيمانه عاهل لواء مجد مصر الممكن الشرق من السيادة والعظمة أناشدكم أيها الشباب الطامح أن تعيدوا إلى الوطنى كرامته وتسقوا لنا فى الحياة طريق العزة والقوة والمجد وإنما يكون ذلك إذا أنتم عقدتم النية وأمضيتم العزيمة فأرونا نياتكم فى أعمالكم وعزيمتكم فى جهادكم . إخوانى الشباب أرغب أن أهمس فى آذان حضراتكم بكلمة ولو كانت فيها غضاضة على أنفسنا جميعا أنه رغم ما وطدناه من عمل ما زلنا فى أماكننا بينما إخواننا شبان أوروبا وأمريكا شباب يقظ يواصل العمل فإلى المجد علموا وإلى العلى عاش الملك .

محمد صبحى الدغشى

خبير الصناعات بإدارة الفلاح بوزارة الشؤون الاجتماعية

المشروع الأول

بين مشروعاتنا العمرانية

للأستاذ عريان سعد

اذا نصح ناصح بشق ترعة تنقل الماء الى أرض تزرع إن وصل إليها الماء وكانت الترعة تتكلف نصف مليون من الجنيهات هان إنفاق تلك الآلاف لأنها ستتيح لعدد من الناس أن يعيشوا على غلة تلك الأرض التى ستزرع حين يتصلها الماء .

واذا نصح ناصح بإقامة سد على النيل يحجز أمامه من الماء ما يزيد مساحة الأرض المزروعة وكانت تكاليف السد مليونا من الجنيهات مثلا لم يقل أحد إنه مال يضيع فى إقامة هذا السد لأن السد وان لم يدر مالا فانه سيحجز الماء الذى يروى الأرض التى ستدر المال.

فاذا جئت أنصح بأن ترصد الحكومة مائة ألف جنيه كل عام تشترى بها أناث الجاموس والبقر لتوزيعها على صغار الزراع أو على الأجراء الزراعيين لكى تعينهم على أن يزرعوا لأنفسهم من الأرض ما تكفى غلته لرفع مستواهم ولو قليلا عما هم فيه قيل إن الحكومة ليس من عملها أن تقوم بهذا العمل لأنها لا تضمن المال الذى تنفقه وربما ضاع عليها .

ولقد كان أصل هذا الاقتراح أن يسدد الفلاحون أثمان الجاموس والبقر من ثمن ما تلد ولكننى الآن قد عدلت عن هذا الرأى وقد جئت أعرض بدله أن يكون توزيع الجاموس والبقر على صغار الفلاحين بدون مقابل لايدفع فلاح ثمن ما أعطته الحكومة إنما تنفق الحكومة المال على شراء الجاموس على ألا تحصله مثله كمثل المال الذى تنفقه على شق ترعة أو بناء سد لا يرجع الى الخزانة منه قرش واحد وانما انفق لأنه سيدر الخير على المنتفعين بالأرض التى سيرويها الماء ، لكن المال الذى ينفق فى هذا السبيل جزءا من اعتمادات السنوات الخمس .

هذا الجاموس الذى يوزع على الفلاحين سيدر عليهم اللبن لا الماء وسيمدهم بالسباخ وباللحم من صغارها التى يبيعها الفلاح وهو فوق هذا كله سيكون عونا للفلاح على الحرث والرى وسينشىء طبقة من الزراع لا وجود لها الآن أو هى موجودة بعدد أقل مما يجب أن يكون .

كل من له صلة بالفلاح والأرض يعلم أن الفلاح الذى يملك جاموسة كالموظف الذى يحمل مؤهلا دراسيا سواء بسواء الفلاح صاحب الجاموسة إن طلب من صاحب الأرض أن يؤجر

له فدانا أو اثنين فرح به صاحب الأرض وأجره فى غير تردد لأن الجاموسة ضمان لسداد الايجار أولا ولأن السماد الذى يتخلف عنها يزيد خصوبة الأرض ومحصولها ثانيا ولأنها ستحرث الأرض وتروبها .

أما الفلاح الذى لا جاموسة له فانه لا يستطيع أن يستأجر أرضا أولا لعجزه عن تقديم ضمان ولأنه لا عون له على الزراعة .

وكل من له صلة بالأرض والفلاح يعلم أن صاحب الجاموسة فى منزله دجاج ولبن وأنه أحسن حالا بمراحل ممن لا يملك جاموسة من الناحية الصحية .

هذا ثابت معروف فى القرى والعقدة هى فى حصول الفلاح على الجاموسة وقد اقترحت من سنين أن تقدم الحكومة الجاموس للفلاحين على أن تحصل ثمنه منهم وكان الاعتراض بأن الحكومة تعرض مالها للضياع .

أما اليوم وسياسة السنوات الخمس توضع أسسها بسخاء حتى بلغت المبالغ المطلوبة لها ستين مليونا من الجنيهات منها ما هو مخصص للمدارس ولانشاء الطرق والمستشفيات والترع ومشروعات لا عدد لها .

واذا كان الغرض من انفاق هذه الملايين رفع مستوى الحياة فى مصر فانى أطالب بلفتة الى هذا الاقتراح على أساس جديد .

أساسه الجديد أن يرصد كل عام مليون من الجنيهات تشترى به أناث الجاموس والبقر — من مصر ومن الخارج — وتوزع على الفلاحين لكل أسرة (رجل وامرأته وأولاده) جاموسة .

اذا كانت المدرسة فى القرية تتكلف ١٠٠٠ جنيه فلم لا تنفق الحكومة ألفا أخرى تشترى بها ١٠٠ عجلة توزعها على ١٠٠ أسرة فتكون الحكومة قد قدمت بجانب المدرسة وهى غذاء الروح الغذاء الألزم وهو غذاء الجسد .

واذا كان مشروع المياة يكلف الحكومة آلاف الجنيهات تنفقها الحكومة عن طيبة خاطر لتوفير الماء للناس فلم لا تنفق بجانبها آلافا أخرى ثمنا للجاموس لتوفير اللبن .

و إذا كانت الحكومة تدفع آلاف الجنيهات لإنشاء طريق يتنقل عليه الفلاحون بين بلدين فلماذا لا تنفق آلافا أخرى تشترى بها للفلاحين جاموسا ينقلهم من الحاجة الى اليسار النسبى فإذا جاز إنفاق المال لإنشاء طريق ينقل الناس من بلد إلى بلد فكيف نبخل ببذل المال لإنشاء طريق ينقل الناس من الجوع إلى الشبع وهذا الطريق هو توزيع الجاموس على الفلاحين .

لو أن تجربة عملت لهذا المشروع فى نطاق ضيق فى قرية واحدة فوزع على كل أسرة لاتملك جاموسة، عجلة أو جاموسة وعملت إحصاءات لحالة أهل القرية قبل توزيع الجاموس وبعد عامين من توزيعه لظهر فى جلاء ووضوح اليسار الذى تدخله الجاموسة الى بيت الفلاح .

إذا لم يتحول الفلاح الأجير الى فلاح زارع ولن يتحول الا اذا تملك جاموسة فلن يرتفع مستوى الفلاح ولن يحسن حاله حتى ولو شرب الماء صافيا وتعلم القراءة والكتابة ورصفت له الطرق الزراعية كلها بالأسفلت وكان فى كل قرية عيادة لعلاج مختلف الأمراض .

الفلاح الأجير أبأس المصريين جميعا وقد تحول كل فلاح مزارع ماتت جاموسته أو اضطر لبيعها لوفاء دين أو نشأ فلم يجد لنفسه جاموسة يرثها عن أبيه تحول كل هؤلاء الى فلاحين أجراء ولن يعودوا فلاحين مزارعين إلا اذا عادت الجاموسة اليهم .

لا يجوز لمن لم يولد فى القرى ولم ينشأ بين الفلاحين فى الحقول أن يبدى فى هذا الموضوع رأيا ولو كان أعلم أهل الأرض بالاقتصاد وغير الاقتصاد إنما الذى يفصل فى هذا المشروع أهل القرى أنفسهم أعيانهم وفقراؤهم على السواء .

أرجو أن يعرض هذا المشروع على المشتغلين بالزراعة فان أيدوه نفذوان رفضوه أهمل

المشروعات المفيدة كثيرة ولكنى أود أن ننظر فى دائرة نفع بعضها وهل شمل الفلاح الأجير أم لا تشمله وهل تضفى عليه شيئا من السعادة أو ترفع مستواه ولو قليلا أم لا .

شق الترع والمصارف وانشاء الطرق . لعل هذين أول المشروعات نشرا للعمران ودعما للاقتصاد . فالأول من شأنه زيادة الأرض الزراعية والثانى من شأنه ترويج التجارة وتصريف المحصول فما الذى يعود على الفلاح الأجير من زيادة الأرض الزراعية وتصريف محصولها ؟

ان كل الذى يعود عليه أن يزيد طلبه ويرتفع أجره ولكن تلك الزيادة لا يترتب عليها رفع مستواه لسبب بسيط وهو أن نشاط حركة النقل التى تصحب انشاء الطرق توجد للانتاج الحيوانى سوقا رائجة ترتفع بها الأسعار وأقرب مثل على ذلك أن تجار البيض يشترونه فى الريف يبيعونه فى المدن بأسعار مرتفعة وكذلك الدجاج والضأن وحتى الخضروات، إن وجدت طريقا الى المدن ارتفع سعرها .

وإذا وصل الضوء الكهربائى الى قرية فالفلاح الأجير لن يكون له من حظ اللهم إلا المشاهدة أما أن يستعمله فى منزله فمستحيل .

بل ان نشر العيادات وهو أجل عمل انسانى ورغم مافيه من رحمة بمن يمرض من هؤلاء الأجراء فانه لا يرفع مستوى معيشتهم بل ربما جعلهم يشعرون بوخز الفقر لأن العيادات تفتح عيونهم المغمضة لترى حاجة المريض الى الطعام الذى يصفه له الطبيب ولا يجد سبيلا للحصول عليه ذلك إذا فرضنا أن العيادة ستصاحبها صيدلية تصرف الدواء مجانا .

كذلك المدارس والجمعيات التعاونية تنشر فى الريف النور ولكنه نور يلقى على مجاهل الحاجة وصحراء العوز .

المشروع الأول اذن هو الذى يضع فى يد الفلاح الأجير الأداة التى ينتقل بها من عوز الأجر الضئيل الى واحة الزارع الصغير الذى يملك شيئا ولو تافها .

تلك الأداة هى الجاموسة فهى عصا موسى إذا القاها تلقفت حبال الفقر التى التفت حول عنقه .

كل المشروعات مفيدة ولكنها كلها تضيف الى نعمة المنعمين لونا جديدا من البحبوحة اما المحرومون الذين تندب حالتهم فلا يعود عليهم منها شيء إلا إذا رصد لمشروع توزيع الجاموس من المال ما يمكن الفلاح الأجير من تملك جاموسة يصبح بفضل تملكها زارعا صغيرا .

الجاموس الذى توزعه الحكومة على الفلاحين ما هو إلا جسر تنشئه بالمها كما تنشئ سائر الجسور ولكنه جسر من اللحم والدم لا من الأسمنت والصوان وهو جسر لا يحجز الماء وإنما يحجز اللبن وهو جسر لا يعبر الأهالى عليه من مكان إلى مكان وإنما يعبرون عليه من الفقر والعوز إلى اليسار والشبع .

والمال الذى تنفقه الحكومة فى شراء الجاموس مثله كمثل المال الذى تنفقه فى شراء الأسمنت والحجر والمال الذى تنفقه على الذين يكلفون بتوزيع الجاموس ومراقبة العناية به كالمال الذى تنفقه على المهندسين الذين تعهد اليهم فى إنشاء الجسر وفى صيانته .

والنتيجة التى ترمى إليها الحكومة من إنفاق المال فى انشاء الجسر والعناية به هى زيادة ثروة المنتفعين بماء الجسر أو بالعبور عليه ويجب أن تكون الثروة التى تنتج من بناء الجسر مناسبة لتكاليفه والا فانها لا تفكر فى إنشائه .

فلننظر إلى نتيجة إنفاق مال الحكومة فى شراء الجاموس وتوزيعه على الفلاحين ، هل الثروة التى تنتج من هذا العمل تتناسب مع المال أم لا كما ننظر الى الثروة التى تتولد عن عن انشاء جسر وكما ننظر الى الفائدة التى تعود على الناس من استعمال الجسر .

الجاموسة التى ثمنها بالأسعار الحاضرة خمسون جنيها وتعطى لفلاح أجير تدر من اللبن وتنتج من السباخ ما يتعادل مع تكاليف أطعامها وزيادة فلنترك هذا من حسابنا تلد الجاموسة كل عام تقريبا عجلا يباع بالأسعار الحاضرة بعشرة جنيهات .

وتمكن الفلاح من استئجار فدانين يوفر الفلاح لنفسه من غلتهما مبلغا يختلف باختلاف طبيعة الأرض ولنقدره بعشرة جنيهات للفدان الواحد أى عشرين جنيها .

وتنقله من أجير رحال يعمل يوما ويتعطل أياما ليصبح زارعا مستقرا منتظم الحياة ثابت الدخل .

هذا كله مقابل خمسين جنيها تقدمها له الحكومة فاذا أنفقت خمسة ملايين من الجنيهات رفعت مستوى مائة الف أسرة. ولو وزعت الحكومة صغار الجاموس لانخفضت التكاليف ولانتفع بالمشروع خمسمائة ألف أسرة على أن تبطئ نتائج المشروع حتى ينمو الجاموس الصغير ويلد ويصبح قادرا على العمل فى الساقية والمحراث .

إنى أعتقد أن هذا معدل رائع لرفع مستوى المعيشة فاذا قدر لباقى الملايين الستين التى قدرت لمشروع الخمس السنوات النجاح بنفس هذه النسبة إذن لرفعنا مستوى ٦ مليون وهذا ما لم يبلغه التعداد حتى الآن أى ٣٠ مليون من السكان .

هذا يفرض أن الجزء من الشعب الذى يرتفع مستوى معيشته لا يؤثر فى بقية الشعب وهذا فرض خاطئ لأن رفع مستوى مائة أسرة من الزراع فى القرية الواحدة يترتب عليه وقد زادت قوتهم الشرائية تحسن حالة تاجر القرية ونجارها وحلاقها وطبالها وزامرها .

وكذلك رفع مستوى ألف اسرة من الصناع فى مدينة يترتب عليه وقد زادت قوتهم الشرائية زيادة ربح الفلاحين حولها لأن ذلك يوجد سوقا رائجة لمحصولاتهم من خضر ولبن إذا ثبت هذا وهو ثابت كما ترى اتضح أن انفاق خمسة ملايين من الجنيهات على تزويد الفلاحين الاجراء بالجاموس ليصبحوا مزارعين صغارا لا تقل فائدة انفاقها فى رفع مستوى المعيشة عن فائدة مثل هذا المبلغ اذا انفق فى إقامة السدود وإنشاء الترع بل هى ترجحها من ناحية أنها تنفق فى تحسين حالة الفلاح دون غيره الذى هو ارتفع البكاء على حالته فى كل وسط حتى أصبحنا فى جنازة مستمرة ومأتم دائم على بؤسه وفقره دون غيره بخلاف الترعة والسد فانها غير قاصرة على هذه الطبقة .

الفوضى الاجتماعية فى أوروبا

للأستاذ حسن مظهر

كثرة الفجر ... الخوف من الأمراض ... هلاك نحو ١٠ ملايين أوروبى جوعا
فى هذا الشتاء ... أطفال مشردون يتهددون السلام المقبل ... الانحلال العائلى
انتشار البغاء الخ ... الخ

ما أن وضعت الحرب أوزارها فى أوربا حتى عمتها موجة هائلة من الاضطراب أخذت تتزايد يوما عن يوم بسبب تدمير المدن والقرى ، ونقص الأغذية والأكسية ، وتكاثر عدد اللاجئين والمشردين وطالبى القوت والمأوى .

ويقول الصحفيون الذين زاروا أصقاع أوروبا المخربة إن هذه القارة تعانى فوضى داهمة لم يشهد لها التاريخ مثيلا منذ العصور الوسطى ، وان الحالة السيئة القائمة هناك خصوصا فى ألمانيا توجب على المسئولين فى العالم كله أن يتداركوها بحزم وسرعة ، والا استحالت كارثة كبرى تنتشر فيها المجاعات والأوبئة والجرائم ويذهب ضحاياها عشرات الملايين ! ...

وقد كان عدد المشردين الذين هاموا على وجوههم فى أوربا فى ظل الحكم النازى يبلغ نحو سبعة ملايين شريد من جميع الأوطان ، منهم الهولاندى والبلجيكى ، ومنهم الفرنسى والايطالى ، ومنهم الروسى والتشكى والبولونى ، ومنهم اليونانى والبلقانى . ولكن أكثرهم نزحوا إلى أوطانهم بعد وقف القتال وراحوا يطالبون بالأطعمة والكساء والمسكن . وبقى فى ألمانيا منهم بحسب آخر احصاء للجنة الحلفاء التى تتولى أمورهم ٢١٠٩,٠٠٠ شخص يعيش منهم ١,٩١٢,٨٨٣ فى معسكرات بينما يضرب الباقون فى الأرض على غير هدى.

يتحولون إلى أقوام من الغجر !

وقد حدث أخيرا أن هبطت على ألمانيا أفواج مشردة لا عداد لها من بولونيا وبلاد السوديت وتشيكوسلوفاكيا والنمسا هاربة من الحكم السوفيتى الذى يضطهد تلك البلاد . وألقت هذه الأفواج عصا ترحالها فى بافاريا ونورنبرج وورتمبرج ، كما انحدرت إلى برلين والمقاطعات التى تحيط بها كبوميرانيا ومكلنبرج وبراندبرج ، فزادت الطين بلة ، وهؤلاء الهائمون على وجوههم الذين التهمت الحرب آمالهم وعائلاتهم وشردتهم محطمى الأعصاب

يؤلفون مع زملائهم لألمان أقواما عجيبة من الفجر الرحل ، وهم يتجولون فى الطرقات المهدمة ويجوسون الخرائب القريبة من المعسكرات يفتشون بين القمامات وعلب الصفيح الفارغة عما يسكون به الرمق . حتى إذا ما جن الليل عليهم نصبوا خيامهم الممزقة المهلهلة وأشعلوا النار فى الأحطاب يستدفئون بها ، ثم ينامون غير عابئين بما يخبئه القدر فى قابل أيامهم !

١٣ مليونا لا مأوى لهم !

ويبلغ اليوم عدد الألمانيين الذين لا مأوى لهم ١٣ مليونا موزعين على مناطق الحلفاء المختلفة. يضاف إليهم بضعة ملايين أخرى من الهائمين فى كل مكان لا يعرفون لهم أرضا ولا مقاما . . وهؤلاء جميعا يستهدفون لشر أنواع الأمراض . بسبب فتات الأطعمة التى يلتقطونها من القمامات والمعرضة للبكروبات والذباب مما قد ينشأ عنه انتشار أمراض وبيلة قد تجتاح أوروبا كلها .

نقص التغذية :

وقد أحصى مقدار الطعام الذى يقدم للشخص الألمانى فى اليوم فاذا به لا يتجاوز "ألف سعر" وهى وحدة حرارية لا تكفى الانسان للحياة وتتهدده بالموت . لأن الانسان يحتاج فى اليوم إلى ٣٥٠٠ سعر وهو ما تقدمه السلطات الأمريكية لجنودها . وقد سبق أن قدمت بريطانيا لجنودها فى حالات سيئة ألفى سعر وكان ذلك عملا منتقدا منها ما لبثت أن تداركته إبقاء على حياة الجنود .

ومن هنا يبدى المطلعون على أسرار الأمور قلقهم من الخطر الذى تستهدف له ألمانيا وأوروبا بسبب نقص التغذية . وقد صرح كولونيل أميركى من المراقبين بأن قلة الغذاء ستتعاون مع البرد القارص فى هذا الشتاء على إحداث كارثة يموت فيها ما بين خمسة ملايين وعشرة ملايين شخص فى ألمانيا وحدها . وسيزداد هذا التقدير ازديادا كبيرا ما لم تتخذ تدابير حاسمة عاجلة .

وكانت أمريكا قد أرسلت إلى أوربا فى خلال تسعة شهور عقب اعلان الهدنة فى الحرب العالمية الماضية أربعة ملايين طن من الأغذية . فأطعم بها ستة عشر مليون طفل أوربى . ولكن فى هذه الحرب لم ترسل أمريكا إلى اليوم غير ١٢٠,٠٠٠ طن وهى كمية قليلة للغاية بالنسبة لزيادة عدد الجائعين فى هذه الحرب عن الحرب الماضية ، وبالنسبة لفشل محصول القمح فى ألمانيا . وتحتاج أوربا عاجلا إلى كمية من الغذاء لا يقل مقدارها عن ثمانية ملايين من الأطنان !

الأطفال المشردون !

وما يستلفت النظر أن السواد الأعظم من المشردين والجائعين فى ألمانيا ودول أوربا هم من الأطفال . و إذا قلنا الأطفال فانما نعنى عدة أوربا ومستقبلها وأسباب سلامها . فان هؤلاء الصغار سينشأون ضعافا هزيلى الأجسام ، وسيشبون على حياة اجتماعية قاسية تنكرها المدنية ، حياة كلها تعاسة وتمرد و بغضاء واجرام . فكيف تكون حال أوربا وحال السلام فى المستقبل وهذه حال أطفالها الذين يعدون بالملايين ؟ ؟

مشكلات ثلاث :

و يعترض العلاج ثلاث مشكلات هى : المشكلة رقم "١" الخاصة بالنقل الداخلى فان هناك صعوبات تقوم فى وجه التموين فى هذه الأيام بسبب قلة وسائل النقل وخراب الطرق وتدمير الخطوط الحديدية . . . والمشكلة رقم ٢ وتتعلق بقلة الوقود اللازم لتدفئة وتسيير حركة النقل كما ينبغى و إعداد الأطعمة . . . أما المشكلة الثالثة فهى تدبير "الطعام" الكافى لحفظ حياة الناس حتى يتم استقرار العمران .

العاطلون . . .

وتلوح خلف هذه المشاكل الثلاث مشكلة لا يخفى الخلفاء خطورتها ، وهى تضخم عدد العاطلين فى الدول الأوروبية جميعا خصوصا فى ايطاليا وفرنسا وأمم شرق أوربا والبلقان . وهذا التعطل المستفحل نتيجة تلازم كل حرب بعد عودة اللاجئين والأسرى وتسريح الجيوش ، وتدمير المصانع ، وخراب المزارع وما اليه . . . ولكن مما يزيد هذا الأمر تعقيدا وخطورة أن أسباب التعمير وسبل تشغيل الأيدى العاطلة غير متيسرة الآن على نطاق واسع . وكل تأخير فى توفير الأعمال التى تكفل الحياة لهؤلاء العاطلين مع عائلاتهم يؤدى الى عواقب اجتماعية لا يقلل العارفون من شأنها . وقد بدأت هذه العواقب تظهر فى شكل ما أسموه " الموجة الحمراء " و بمعنى آخر الموجة الاشتراكية التى شجعتها روسيا فى شرق أوربا والبلقان ، وتشجعها فى ايطاليا وفرنسا و بلجيكا وأسبانيا حيث يوجد فى كل من هذه البلاد حزب كبير يستند الى جماعات تطالب بالاصلاح الاجتماعى و بالعمل الخ.

الانحلال العائلى :

. وقد أثمرت الحرب حالة اجتماعية شاذة لم تكن مألوفة فى أوروبا . وهى تختص بالعائلة والنسل. فقد تهدمت ملايين العائلات فى كل مكان بموت عائليها و بتشريد أفرادها. وارتفع عدد الأرامل ارتفاعا عجيبا . وكثرت النساء العجائز اللواتى القى القدر على اكتافهن الضعيفة عبء الاشراف على حطام اسراتهن المكون من أطفال وفتيات صغار . . .

و بين هذا وذاك انفجر البغاء، فاصبح عملا لا مسئولية عليه ولا معاب. وانتشرت الأمراض المتسببة عن هذا العمل الأليم حتى بلغت نسبتها فى بعض دول شرق أوروبا ٤٠ فى المائة !

وقد كانت المانيا والدول الأوروبية تجعل للزواج قيودا وروابط ، ولكن انحلت هذه الروابط بوحشية الحرب وسبى النازيون الفتيات الأوروبيات والروسيات . وأصبحت رابطة الزواج يعبر عنها اليوم فى المانيا بالتآخى مع جنود الحلفاء . وكان النازيون يعتبرونها فى خلال الحرب نوعا من ترفيه جنودهم مع الحسان . .

وقد انتجت هذه الفوضى الجنسية عشرات الآلاف من الأطفال غير الشرعيين و يبدو ذلك على أشده فى فرنسا حيث أخذت وزارة الشئون الاجتماعية تنظر فى أمر هؤلاء الأطفال وكيف توجد العمل لأمهاتهم الفرنسيات المنكودات الحظ .

وهكذا يجابه الحلفاء فى أوروبا مشاكل اجتماعية بالغة الأهمية تزيد فى خطرها على المشاكل السياسية . وإن لم يحزموا الأمر على علاجها علاجا فعالا سريعا ستنتهى إلى بغائع وتطورات لا يعلم مداها إلا الله .

لطف الله بأوروبا فى اضطرابها وخرابها !

حسن مظهر

العلاقة بين صاحب العمل وعماله

من النظريات التي لا يعوزها برهان أن نجاح العمل يتوقف إلى حد كبير على التعاون الصادق والثقة المتبادلة بين صاحب العمل وعماله، وحسن التفاهم، والحرص على مصلحة العمل، ففي هذا الجو الذي تسوده روح المحبة، والتعاون والاخلاص، تزدهر الأعمال، وتثمر الجهود ...

فاذا لقي العامل — وهو اليد المحركة والقوة المنتجة — من صاحب العمل ما يشجعه على الاتقان والاجادة لم يتوان في مضاعفة الجهد، فينفق كل جهده في اتقان عمله وزيادة إنتاجه، لأنه يؤمن أن نجاح العمل منسوب اليه، وأنه سيستفيد منه بقدر ما يفيد، أما إذا لم يقابل صاحب العمل جهود العامل بما تستحقه من تقدير ثبطت همته، ووهن عزمه، وقل إنتاجه، وصاحب العمل — في هذه الحالة — أول من يتحمل مسئولية هذا التقصير، ويدفع ثمنه ... وفي بعض البلاد الأوربية يساهم العمال في رأس المال، ولا شك أن الغرض من ذلك واضح، ليتفانى كل عامل في الاجادة وزيادة الانتاج.

ولقد تضمنت قوانين العمل ما يكفل توطيد العلاقات بين أصحاب العمل والعمال، ويصون حقوق العامل، فأنشئت النقابات لتكون وسيطا بين صاحب العمل وعماله.

وفي انجلترا، عدد كبير من المجالس واللجان المشتركة، تمثل أصحاب العمل ونقابات العمال، وتخضع هذه المجالس لدساتير تنص على عقد اجتماعات منظمة، تدرس فيها المشكلات التي يثيرها أحد الطرفين، كما تشمل هذه الدراسة وسائل العلاج التي تتبع في حلها، والمقصود من هذه اللجان تقريب وجهات النظر، وتمكين الفريقين من التفاهم على ما فيه صالح العمل دون أن ينتقص أحدهما حق الآخر.

وقد جاء هذا النظام المعمول به في بريطانيا نتيجة للتطورات التي حدثت أثناء الحرب العظمى وبعدها مباشرة، ففي خلال هذه الفترة من الزمن توثقت الروابط بين الحكومة وأصحاب العمل ونقابات العمال، إذ نالت النقابات بفضل تعاونها في المجهود القومي تحسينا ملحوظا في مستواها ومركزها، وكان من الضروري الأخذ بآرائها وطلب معونتها، وبلوغ أعلى مستوى ممكن في الانتاج، ولهذا لجأت الحكومة الى استشارتها في مناسبات كثيرة، مما منحها فرصة سانحة لتعزيز نفوذها.

وفى عام ١٩١٦ شكلت لجنة برئاسة " مستر وايتلى " لدرس هذا الموضوع ، فوضعت تقريرا حتمت فيه إنشاء لجنة لكل صناعة ، يمثل فيها أصحاب العمل والعمال ، لتحسين العلاقة بينهم ، وتسوية المنازعات ، كما أولى مستر " بيفردج " هذا الموضوع عنايته ، فضمن مشروعه الاجتماعى الوسائل التى يراها كفيلة بحماية حق العامل، وتسوية المنازعات التى تنشأ بينه وبين صاحب العمل، الى غير ذلك من وسائل الضمان الاجتماعى، التى تضمنها المشروع .

* * *

ومن المظاهر الملموسة فى محيطنا الصناعى سوء العلاقة بين صاحب العمل وعماله الى حد يضر بصالح العمل ويثير الكثير من المنازعات ، فصاحب العمل يريد إنتاجا وربحا ، ويحاول أن يستغل العامل الى أقصى حد ممكن ، دون أن يرهق ميزانيته بما يستوجبه العمل من أجور ؟ والعامل يريد أجرا يتناسب مع مجهوده ، ويريد أن يظفر بكافة حقوقه ، ومن هنا تتصارع الرغبتان ، ويدب الخلاف ..

ولقد أتيحت لى فرص كثيرة ، استطعت أن أدرس على ضوئها أثر العلاقة السيئة بين صاحب العمل وعماله ، فقد ترددت على كثير من دور الصناعة ، وتحدثت الى عمالها ، واستمعت الى شكاياتهم ، وهى شكايات مرة ، أحاول أن أستعرض فى هذا المقال بعضها ، ثم أعرج على عرضها توجيها وإرشادا ..

(١) لاحظت أثناء جولتى بالمصانع أن بعض أصحاب العمل يعامل عماله معاملة الأرقاء ، والعامل بطبيعته تأسره الكلمة الطيبة ، ولو أن هؤلاء سلكوا فى معاملة عمالهم طريق اللين والحكمة لاستطاعوا أن يكسبوا ودهم وحبهم ، وأى كسب لصاحب العمل خير من هذا الكسب ؟...

إن بعض أصحاب العمل يرغمون عمالهم على توقيع مستندات تحمل بيانات بعيدة عن الحقيقة ، كأجر يزيد من أجرهم الحقيقى ، أو ما الى ذلك من تعهدات والتزامات فرضها القانون على صاحب العمل ...

(٢) زرت احدى دور الطباعة ، فصارحنى أحد العمال أنه لا يألم لشىء بقدر مايؤلمه هذا التفتيش الاجبارى الذى فرضه صاحب العمل ، وهو دليل تزعزع ثقة صاحب العمل به ، وقد أكد لى هذا العامل أن فى مقدوره أن ينتقم لكرامته بوسائل أخرى لا يستطيع أن

يكتشفها صاحب العمل ، ففى إمكانه مثلا إتلاف آلة من آلات الطباعة ، أو كمية من الورق الثمين ، أو تقليل إنتاجه ، مادام صاحب العمل يمتهن كرامته ، فينتشه عند انصرافه على هذا النحو الذى يؤلمه ...

وهكذا يسىء بعض أصحاب العمل الى أنفسهم باتباع مثل هذه الطرق ، وفى مقدورهم مراقبة عمالهم بغير هذه الطريقة ، فيخصصون لكل عامل عهدة مسئول عنها ، وإذا ما أحس العامل أن صاحب العمل يوليه ثقته ويطمئن اليه ، طابت نفسه الى العمل ، ولم يفكر فى الانتقام ...

(٣) لا يشجع أصحاب العمل عمالهم بالمكافآت وزيادة الأجور ، فى الوقت الذى يرهقونهم فيه بالعمل ويطالبونهم بزيادة الانتاج ، فيضطر العامل إلى إنجاز عمله دون عناية إزاء إلحاح صاحب العمل عليه بزيادة الانتاج ، ومن واجب صاحب العمل أن يعنى عماله بعطفه ، فيكافئهم بنسبة إنتاجهم ، ويشجعهم بالمكافآت والعطايا ، فان لهذه العطايا أثرها فى تحبيب العمل الى العامل ، وتشجيعه على أدائه .

إن العامل المصرى من أنشط العمال وأكثرهم ذكاء واخلاصا إذا وجد من يشجعه ويقدره ، وعلى أكتاف هؤلاء العمال تقوم الصناعة ، فاذا أراد أصحاب العمل ربحا وإنتاجا فليعطوا العامل حقه ، وليكافئوه بما يستحقه فهم بذلك يحسنون الى أنفسهم قبل أن يحسنوا اليه ...

لقد دلت إحصائيات مكاتب العمل على أن العامل المصرى أقل إنتاجا من العامل الانجليزى والأمريكى ، والواقع أن قلة إنتاجه لا تعزى الى تقصيره أو اهماله ، انما هى نتيجة حتمية للظروف المحيطة به ، ولو أن العامل المصرى ظفر ببعض ما يتمتع به العامل فى تلك الممالك من وسائل العيش لما بزه عامل فى أية دولة ، أو فاقه إتقانا وإنتاجا ، ولأحرز قصب السبق فى هذا المضمار ...

ولقد حرصت وزارة الشؤون الاجتماعية منذ إنشائها على كفالة حق العامل وحمايته ، فسنت قوانين العمل التى ترمى الى رفع مستوى العامل المصرى ، وتحديد الأجور وتنظيم ساعات العمل وشروط التعويض والتأمين وما الى ذلك من وسائل الضمان الاجتماعى ، كما عنيت الوزارة بانشاء نقابات العمال ولجان التحكيم والصلح لتكون ظهيرا للعمال .

أنتقل بعد ذلك الى الحديث عن علاقة الرئيس بمرءوسيه ، فأقول ان هذه العلاقة يجب أن تقوم على أساس مكين من الثقة والتعاون والانصاف ، لتسير دفة العمل سيرها الطبيعى ، ومما يؤسف له أننا نرى فى بعض المصالح ودور الاعمال توترا فى العلاقات بين الرئيس ومرؤوسيه ، ولهذا التوتر أسباب كثيرة ، كأن يفرق فى معاملة مرؤوسيه ، فيؤثر موظفا بمعاملة خاصة ويقربه منه ، بينما يقسو فى معاملة آخر ويبغضه ، ومن الرؤساء من يستمع للوشايات والدسائس ، بل ان منهم لمن يشجع مرؤوسيه عليها ، فتعم الفتنة ، وتبذر بذور الغيبة والنميمة ، ومنهم من يستغل نفوذه فيفرض على مرؤوسيه ما ليس له بحق ، فيقبلونه كارهين ، ويؤدونه مرغمين ... ومنهم من يقبل هدايا مرؤوسيه ، وترمى هذه الهدايا الى أغراض شتى ، أو يقبل الشفاعات والوساطات ، فيقتل روح الكفاءة والمنافسة بين الموظفين ، الذين يرون أن التقرب لا يكون الا عن طريق الدسائس ، والتزلف ، والتملق ، والرياء ، والنفاق ، والواجب أن يعتبر الرئيس مرؤوسيه كفرد واحد ، فلا تفريق فى المعاملة ولا مفاضلة ، الكل سواء ، لا فضل لهذا على ذاك إلا بالاجادة والاخلاص فى العمل ، وبذلك يتيح لمرؤوسيه فرصة التنافس والتسابق الى أهداف الرفعة ...

* * *

والآن وقد استعرضنا هذه الصور السريعة ، أرجو أن يكون فى عرضها الارشاد الذى ننشده ، والتوجيه الذى نرجوه ...

والله يهدى العاملين ... .

عيسى متولى

وسائل القضاء على البطالة فى الولايات المتحدة

قبيل انتهاء الحرب الحالية زاد اهتمام الصحافة والرأى العام بمسألة البطالة ووسائل مقاومتها ولم يكن ذلك غريبا من جانب الرأى العام والسلطات المسئولة بعد أن رأت العمال الحاليين فى نواح مختلفه يتقدمون بطلبات لتحسين أجورهم واتخذوا الأحزاب وسيلة لتنفيذ طلباتهم.

وحدث أخيرا أن أحزاب عمال السيارات ومعامل تكرير البترول وعمال البناء أضربوا مما كبد أصحاب الأعمال خسائر تبلغ الملايين، ولخطورة الأمر دعا الرئيس ترومان ممثلى عمال البترول وأصحاب العمل للتشاور معهم، وقام كذلك وزير التجارة بمباحثات لحسم النزاع، وقد قدم الرئيس ترومان مشروع قانون الى الكنجرس أطلق عليه مبدئيا قصد به أن يقضى على البطالة قضاء تاما .

ونشرت مجلة نيو يورك تيمس فى عدد ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ مقالا لعضو الشيوخ "واجنر" تبين فيه معنى المشروع وأغراضه وملخصه أن كل شخص أهل للعمل وراغب فيه من حقه أن يحصل على عمل منتج منظم، ويفسر المشروع بأنه ليس من جانب الفرد تخوله حق عمل معين أو سيطرة من جانب الهيئات تخولها حق استخدام الأفراد فى شبه نظام اجبارى .

وأن السياسة الاقتصادية فى أمريكا بجانبها السياسى الحكومية يجب أن ترمى الى توفير الأعمال للجميع لا الاقتصار على رفع كميتها، ويرى أن خطر البطالة يهدد المبادئ الديموقراطية فهى جعلت من هتلر فى ألمانيا حاكما مطلقا فاقد الرشد لأنه باهمال الوضع الاقتصادى تزداد الحزازات بين الطبقات التى يمكن استخدامها لترويج المبادئ الخطرة .

والشعب الأمريكى لا يصعب عليه التغلب على البطالة تغلبا تاما، فقد نجح فى ذلك كل من روسيا وألمانيا وستنجح فى ذلك انجلترا، وستستمر روسيا بعد الحرب فى النجاح الذى أحرزته قبلها .

ويرى بعض المتطوعين للدفاع عن نظرية امكان الغاء البطالة إلغاء تاما أن الوسائل المقترحة تتعارض مع مبدأ الديموقراطية وحرية العمل الفردى .

وواجب الحكومة المتمدينة أن ترعى مصالح رعاياها بقصد الإشراف لتحقيق غاية سامية وقد ثبت أن مثل هذه الرقابة أوجدت للأفراد طمأنينة .

ولا يشترط فى المشروع رقابة مركزية تصدر أوامرها الى النواحى المختلفة ولكن هدفه أن يكون انتاج السلم موازيا لانتاج الحرب .

و يستبعد مجذ المشروع المخاوف التى تساور خصومه من أنه سيؤدى الى عجز دائم فى الميزانية ، ويجب مقاومة التيار الذى يعطل سياسة العمل للجميع لأنها السياسة التى تطيح بالفقر دون حاجة الى مصادرة الثروة .

وأفاض عضو الشيوخ "موريس" فى بيان مزايا القانون مبينا الأخطار التى قد تترتب على عدم إقراره ، وأعرب من يهتمون بالشؤون الزراعية عن قلقهم من تأثير هذا القانون على مصيرها ، وأجيب على ذلك بأن لا مبرر لخوفهم ، فنازل العمال فى المدن هى الأسواق التى تتسرب اليها المحاصيل الزراعية ، فرخاء العامل هو رخاء الزارع .

وهاجم البعض المشروع بأنه مبنى على تنبؤات قد يبرهن المستقبل على أنها خاطئة .

و بعد إتمام المناقشات وادخال بعض تعديلات لا تؤثر فى جوهر المشروع انتهى المجلس الى إقراره بأغلبية ٧١ الى ١٠ وامتنع ١٥ عضوا من التصويت .

ونرى أن هذا المشروع صدر فعلا فى الوقت المناسب اذا استعرضنا تصريح مستر والاس وزير التجارة الذى أدلى به بعد أن توقع نقصا فى الأجور عقب انتهاء الحرب يبلغ حوالى ٨ مليون دولار ، فهو لذلك يرى وجوب تنظيم فترة الانتقال من الحرب الى السلم بعمل سريع حاسم تتعاون فيه الحكومة مع الهيئات المختلفة و إلا ازداد النقص وعظم خطر البطالة

وقد عزى النقص فى الأجور الى أن ساعات العمل خلال الحرب كانت ٤٨ ساعة أسبوعيا وهى فى مدة السلم ٤٠ ساعة ، والى أن الصناعات الحربية تدفع أجورا أعلا من الصناعات المدنية .

الصناعات المنزلية

كوسيلة لرفع مستوى المعيشة والحياة الاجتماعية

قال الأولون الوقت من ذهب وقد صدقوا فيما قالوا وأوضحت الأيام صدق نظريتهم وبعد نظرهم فان استغلال الوقت وخصوصا أوقات الفراغ فيه فوائد متعددة وثمار جانية القطوف وارفة الظلال وتعود على مستغلها بالخير العميم والهناء المقيم ولا سيما إذا كان الذى يمارسها قليل الدخل أو عديمه فان الصناعات المنزلية التى لا تحتاج الى بذل مجهود جسمانى كبير أو الى تفكير كثير فهى الغاية المنشودة والأمنية المرتقبة لفك أغلال الإعسار ومساعدة رب الدار على السير فى الحياة الى أن تنفرج أزمته وتزول كربته ، ففكرت وزارة الشئون الاجتماعية فى النهوض بالحياة الاجتماعيـة والمعيشية لتقيل عثرة الذين قعدت بهم الأيام ونزلت بهم طوارئ الحدثان وتمهد لهم طريق الحياة وتسهل لهم سبل العيش الرغيـد ، فكلفتنى بالعمل على إيجاد صناعات خاماتها رخيصة ميسورة الحصول عليها سهلة التوزيع مربحة لمن يزاولها عديمة الضرر من الوجهة الصحية فوفقنا الله سبحانه وتعالى الى جملة صناعات استحدثت لهـا الطرق وابتكرت لها كل ما هو مفيد وسهل العمل ميسور الفائدة وهذه الصناعات تشتغل بهـا الأيادى العاطلة وهى التى أسميها بالبطالة المستكنة (بطالة النساء فى المنازل فى المدن والأرياف)

١ — صناعة غزل الألياف الصوفية والقطنية والكتانية والوبرية بواسطة مغزل صممته وراعيت فيه أن يكون سهل الصنع عظيم الانتاج بالنسبة لانتاج المغزل اليدوى المشهور منذ القدم ويمكن عمـل خيوط تستهلك فى الملابس التى تحاكى الملابس الانجليزية (التوريد) وكذلك فى أغطية الفرش (البطاطين) والسجاجيد والأكلمة والأخرمة وهو سهل الصيانة فلا يحتاج لصيانته الا الى قليل من العناية ويمكن استبدال الاجزاء التى قد تتلف من سوء الاستعمال بسهولة وبثمن بسيط فتوفرت فيه كل المزايا المطلوبة وقد أمر معالى عبد المجيد بك بدوى وزيرنا الذى يعمل جهده لتذليل الحياة وتبسيط مصانعها على تعميم استعماله فى المراكز الاجتماعية التى انتشرت بين القرى والكفور لتساعد على استغلال الوقت الذى يضيع سدى من ربات المنازل بالأرياف والعزب وكذلك يمكن الفلاحين من استغلال عطلتهم الا رغامية فى الفترات التى بين زراعة كل محصول من المحاصيل وحصدها مما قد تبلغ حوالى ثلثى العام أو نحو ثمانية أشهر كل عام فنعوض له عدم دفع أجور ابان عطلته

الجبرية كما أوضحت قبل فاذا كان ميعاد قص الأغنام اشتغل فى غزل الأصواف واذا كان ميعاد محصول القطن غزل قطنه واذا كان محصول الكتان فيغزل كتانا والكتان من الملابس التاريخية المستعملة منذ العصور القديمة وله ميزة تخفيف وطأة الحرارة وفى ذلك ما فيه من شتى الفوائد .

٢ — صناعة النسج — قد كلفنى معالى عبد المجيد بك بدر وزيرنا أيضا أن أتم صناعة الغزل بصناعة النسيج فقمت بما كلفنى به بعد ان عرض على دفع قيمة تكاليف التجارب من جيبه الخاص فرجوته إعفائى من أخذ نقود منه مكتفيا بالقيام بأعباء هذه التكاليف من مالى الخاص . فألهمنى الله الكثير التم لعمل نول يمكن القيام بالعمل عليه الرجل القعيد أو المبتور الساق أو الساقين فيكون استعماله عاما وللجميع سواء كان رجلا أو امرأة سليما أو مصابا بعاهة فتمت الفائدة المرجوة وعمت فائدته بتبسيط عمله لكل من أراد استخدامه .

٣ — اشتهرت بلاد العجم منذ القدم بصناعة السجاد لوفرة الغزل الصوفى وأصبحت صناعة منزلية تمارسها النسوة بالمنازل بعد الفراغ من عملهن اليومى فلما تيسر ابتكار المغزل السالف الذكر توفرت لدينا والحمد لله وسائل البدء فى صناعة السجاد والكليم على أنها صناعة تبعية إضافية .

٤ — صناعة السلال المتخذة من سيقان سوباط البلح وهو يشبه الخيزران المقشور وله وجوه كثيرة فى الاستعمال المنزلى والخارجى فيمكن عمل سلال الخبز التى توضع على موائد الأكل الحديثة كما أنه يمكن عمل سلال الأزهار التى تليث فيها الأزهار لتأخذ أوضاعا ذات تأثير على ذوى الاحساس المرهف فتغدى العقول بمناظرها الفاتنة الجميلة ، كما أنه يمكن عمل سلال حفظ الملابس من غيرها .

٥ — صناعة حشو مقاعد الكراسى من قشور السوباط فانها لا تكلف الانسان مشقة فى عملها فضلا عن توفر الخامات اللازمة لها بكميات هائلة والتى يذهب الآن سدى بدون فائدة تذكر .

٦ — عمل فرش من أخف الجريد لما جميع الميزات الموجودة فى الفرش المصنوعة من خشب الزان وخشب الأشجار والمستعملة حاليا

وبذلك يتيسر توفير واقتصاد نسبة كبيرة من تكاليف إنتاج الفرش مما يدعو إلى الدهشة وأصبحت جميع مخلفات النخيل تستهلك وعم نفعها .

٧ — صناعة مقاعد للكراسى من مخلفات السوباط بعد نشره أيضا ثم جدله كما تجدل الصحاف والأسبتة المستحضرة من أسوان على شكل قاعدة الكرسى بدلا من صناعتها كما هى الآن فتحل محل القواعد المصنوعة من الأبلاكاج وهذه صناعة تناسب أهالى أسوان لشهرتهم القديمة فى صناعة مخلفات النخيل .

٨ — عمل نشرات دورية عن كل صناعة من الصناعات القديمة وهى التى تمارس فى المنازل لعمل الحاجيات المترليــة فيساعد ذلك على تقليل احتياجات العائلة لتتوفر لها النقود لاحتياجات أخرى .

جميع ما سبق ذكره صنعته عمليا وأصبح فى حيز الوجود وليست مقترحات وكلمات جوفاء ونتيجة التفكير السليم والتنفيذ العملى وبذلك أصبحت مصدرا للرزق ويفبوعا جديدا من موارد استغلال القوة المفقودة والخامات الضائعة والتى كانت فى عداد المخلفات القديمة القيمة ، فاذا بهـا تكون كنزا قد كشفت عنـه النهضة الفكرية التى تبعثهـا وزارة الشؤون الاجتماعية إلى عالم الوجود .

عباس بدران
مفتش بادارة مكافحة البطالة

"إن الأذواق والأخلاق والعادات هى عناصر الشخصيــة التى تميز فردا من فرد وأمة من أمة".

الزيات

النفس والشعور بالحرمان

من طبائع النفس الإنسانية أنها تطلب الوفر والعطاء فيما تملكه بين يديها وفيما تتمناه ، وأنها تنفر من العجز والقصور عن بلوغ غاية مرتجاة أو أرب منشود . وهى تنكر الشعور بالمنع والحرمان ، لأنها تطلب الحرية فى الوفر والسعة وغنى النفس عن الحاجة وترفعها عن الضرورات .

لأن النفس حين تطلب الحرية تأنف أن تستكين للضرورة وتتأبى على الموانع والقيود ؛ فهى — من ثم — تطلب الوفر والسعة و " الامتلاء " فى الأشواق والآمال ، والانطلاق فى الشعور والتعبير ، لتقترب من أجواء الحرية وتدنو من آفاق الجمال .

وكلما كانت النفس أقرب إلى الحرية فى الحياة ، كانت أخلد إلى السعادة والرضا واليقين ؛ لأنها فى حريتها تصل — عن طريقها — إلى غاية مرتقى المثل والأشواق ، فلا يحول بينها وبين رغباتها قيد ، ولا يوصد دونها باب أو حجاب . فإن هى بلغت الغاية مما تريد ؛ فذلك دليل على فرط حيويتها وتأصل عنصر الحرية فيها . وإلا فهى ما تزال فى طور النشوء وما يزال بينها وبين الحرية مراحل طوال .

لذلك تنفر النفوس بالغريزة الأصيلة من الحرمان ، وتأنف أن تصير إلى الذلة والاستكانة ، لأن الذلة والاستكانة إن هى إلا قصور عن الحرية وعجز عن إدراك شأوها فى محيط الرغائب والميول ، أو هى استسلام لموانع الحاجة وقيود الضرورة .

وهى تداوى ذلك القصور جهد طاقتها ، فيأبى المرء منا أن يستكين أو أن يعترف بعجزه وضعفه وقصوره عن بلوغ المآرب الصغير أو الكبير ، ويأبى إلا أن يصور عجزه فى صورة تشعر بقلة الاكتراث وعدم المبالاة ، وتهوين المطلب القاصر عن بلوغه كل هوان ، وما هو بالهين ولا المزهود فيه !

كذلك ينكر الآلام والأحزان ، ويصطنع الانطلاق والمرح والاغترار ، إيهاما للناس ولنفسه قبل الناس ، أنه قادر غير عاجز وأنه مستطيع أن يواجه الحياة مواجهة القوة والمعارضة لا مواجهة الضعف والتسليم . وذلك هو الترفع عن الحرمان وعن الشعور به ، وهو فى ذاته قرب من الحرية التى هى طبيعة الحى وسمة الحياة .

ومن أجل ذلك يجد الناس جميعا لذة ومتاعا عظيمين فى الشعور بالعظمة أو بالتعظيم لأنهم يرضون بذلك طبيعة هى أوشج الطبائع بالنفس الإنسانية وليست هذه الطبيعة بالدخيلة أو الزائفة الموهومة كما قد يظن فى النظرة الأولى ؛ وليست ذات صلة بالكبرياء والغرور الذى يستعلن فى بعض النفـــوس المريضة التى يركبها الوهم ويملأها الادعاء . لأن قوة الشخصية التى تبـدو فى الشعور بالعظمة غير ذلك الضعف الذى يبـدو فى صورة الغرور والازدهاء ، وهو ضعف فى حقيقته يلجأ إلى التصنع الظاهر ويروغ خلف قناع الكبرياء ؛ وذلك — لا شك — صغار فى النفس ومرض فى الشخصية . والرجل الفحل لا يتكلف إظهار خولته ولا يصطنع المظاهر الجوفاء . وإنمـا يتكلف ذلك من يشعر بهوان نفسه وضعة قدره بين الناس وبعد ما بينه وبين العظمة والفحولة .

* * *

ومما لا مراء فيه أن النفس فى عالمها الباطن تصطدم بالحياة فى شتى مذاهبها وغاياتها ، فيندر أن توجد النفس التى تنظر إلى الحياة دائمـا نظرة الرضى والتسليم ، لأن مدار النفس الذى تدور عليه نزعاتها ورغباتها وما تنطوى عليه من حس وتفكير ؛ هو غير مدار الحيـاة فى منهجها الكلى الذى يجمع بين الخير والشر أو هو غير مدار الطبيعة فى مقصدها الأكبر الشامل لخصائص الأحياء والأشياء . ومن هنا كان الشعور بالنقص ، واستحالة التوفيق بين مقصد الطبيعة ومقصد الإنسان ، ومن هنا أيضا كان التشاؤم المنقبض والتجهم الحارد ، ومعارضة الحياة كلها وإنكار الكون كله ! وملابسة أنماط الشك ومخالطة ألوان السآمة والتخدير .

تبدو هذه الظاهرة ، أو هذه الطبيعة ، أكثر ما تبدو ، فى عهود الشباب وباكورة الأيام ؛ لأن الشباب عهد النضوج الروحى ، وهو الزمن الذى تبلو فيه الحياة المرء بالتجارب والأحداث وتحبوه بذخيرتها من الخير والشر على السواء .

ثم تختفى بعد طور الشبـاب . لأن الشيخوخة أكثر ما تكون قانعة راضية بالواقع لا تتطلع ولا تثور ، ولا يثيرها فى الحيـاة دافع إلى الثورة والطموح ، أو الترفع عن الموانع والقيود .

فالشباب يتنكر للحياة ويترفع عن ضروراتها وقوانينها ، لأنه يأنف فى الواقع أن يقر بالعجز ويعترف بالهزيمة ويستكين للاضطرار . وهو يترفع عن الحياة لأنه يترفع عن الفاقة والعوز والحرمان . وكيف يقر الشبـاب ذلك وهو لا يعرف طبيعة له غير الوفر والثروة والإقبال . وهل الشباب إلا فيض الحياة ولو تنكر للحياة ؟ !

وإنما كانت ظاهرة التشاؤم التى تكثر بين الشباب فى هذا العهد من عهود العمر ؛ قرينة التوفز والتوثب ، والتهيؤ لقبول ذخائر الحيوية الدافقة ، ونتيجة المدى الشاسع بين الواقع المحدود ، وبين عوالم المجهول أو ما وراء المنظور . وقد يبدو ذلك متناقضا أول وهلة ، ولكنه لا يبدو كذلك فى حقيقته ، بعد استقراء يسير .

فالشباب المتشائم لا يكون كذلك لقلة ما عنده من الشعور واليقين والرجاء ؛ ولكن لأنه على النقيض من ذلك موفور الحيوية فياض الشعور وطيد الإيمان . وهو لا يتنكر للحياة لأنه لا يملك الحياة ؛ ولكن لأنه "مملوء اليدين بالحياة" زاخر الحس بأشواقها ومعانيها .

إنما هو يتنكر للضرورة ويطلب الحرية . ويستنكر الحرمان ويأنف أن يشعر به . ولا نكران ولا جناح عليه إذا أشاح عن الحياة كلما ذكر موانعها وكلما ذكر ماتدفع إليه هذه الموانع من الارتداد والنكوص .

وقد كان "أبو العلاء المعرى" الشاعر الحكيم ، متشائما شديد التبرم بالحياة والناس ، ساخطا على نفسه فى بعض الأحيان .

بنى الدهر ! مهلا إن ذممت فعالكم

فإنى بنفسى — لا محالة — أبدأ

ولكن أبا العلاء الذى يقول هذا ؛ هو الذى يقول أيضا :

ورضت صعاب آمالى فكانت خيولا فى مراتعها شمسنه

ولم أعرض عن اللذات إلا لأن خيارها عنى خنسنه

ألا تراه هنا كيف يبرر إعراضه عن اللذات ، وأنه إذن كان قمينا أن يحب الحياة ويمارس لذاذاتها على الرغم من برمه بها ! وهل تراه فى تشاؤمه قد نسى طبيعة الحياة الجياشة فى أعماقه ؟ كلا . . ولو أنه كان متشائما خالصا لكان أقرب إلى الشذوذ والغموب .

و" أرثر شوبنهاور "الفيلسوف الألمانى الكبير ، كان زعيما ورائدا لمذهب التشاؤم فى عصره ، ولكنه كان ، كما يقول مريدوه ، عارفا بجوانب الحياة كما لا يعرفها أكثر أنصارها قربا منها ، وكان أقرب إلى الشعراء منه إلى الفلاسفة ، وفى مذهبه من التطلع والحيوية الفكرية ما ليس فى مذاهب كثير من المتفائلين ومحبى الحياة .

وليس أبو العلاء وشوبنهاور إلا مثلين من أمثلة كثيرة نطالعها فى تاريخ الشعراء والفلاسفة جميعا على اختلاف مذاهبهم وتفاوت نظراتهم فى الحياة .

* * *

ونعود إلى الشعور بالحرمان ، فنقول إنه يؤدى فى النفوس الضعيفة إلى الشعور بالحقارة ، ويسلب المرء ثقته بنفسه ، ويجره إلى الردة والتخلف ومعاودة الوساوس المبرحة والألم المريض ، كلما حز به أمر من أمور الحياة والاجتماع .

وهو فى النفس القوية الصادقة ، يتجه وجهة القوة والحياة ، فيأبى إلا أن يستعلن فى صورة الأنفة وقلة المبالاة ، والسخرية العنيفة ، وكل ذلك دليل الشعور بالنفس ، أو الشعور بالعظمة التى ترضى طبيعة الإنسان .

يقول " جيتى ": "كيف تراك تجدد نفسك بلا وناء ؟ إنك مستطيع ذلك ، مستطيعه بأن تجعل لنفسك نصيبا من السرور بالعظمة ، فإن كل عظيم لا يزال أبدا جديدا حارا مملوءا بالحياة ! " .

وإن جيتى الذى عاش كل لحظة من لحظاته جديدا حارا مملوءا بالحياة ، ليجعل الناس جميعا كذلك فى حياتهم وفى كل لحظة من لحظاتهم ، إذ يهديهم إلى "السرور بالعظمة" أى إلى مناقضة الأحزان وإنكار الشعور بالحرمان .

وكذلك تكون الحرية ، وكذلك تكون الحياة !

محمد محمود حمدان

ويقال الكرام قولا ! وما فى العصر

عصر إلا الشخوص والأسماء

" المعرى "

في ميدان النشاط الاجتماعي :

نحو العدالة الاجتماعية

تعنى وزارة الشؤون الاجتماعية فى هـذه الآونة برفع مستوى المعيشة للطبقات الفقيرة والعمال الزراعيين وعمال الصناعة والتجارة، وهى تسعى لهذا الغرض بالاضطلاع بمشروعات عديدة أهمها مشروع التأمين الاجتماعى ضـد المرض والعجز والشيخوخة والوفاة ، وتنظيم العلاقات بين الملاك والمستأجرين ، ووضع حد أدنى لأجور العمال الزراعيين أسوة بعمال الصناعة والتجارة حتى تضمن للعمال الزراعيين عيشة تليق بالانسانية .

وبين يدى الوزارة الآن عدة مشروعات ناقصـة الغرض منها استكمال التشريعات العمالية وأخصها مشروع قانون عقد العمل المشترك ، ومشروع قانون التوفيق والتحكيم بين العمال وأصحاب الأعمال ومشروع التعويض عن أمراض المهن فى بعض الصناعات .

ولمـا كان رفع مستوى المعيشة لسواد الشعب يتوقف الى حد كبير على دعم الصناعة المصرية والتوسع فيها فقـد حرصت الوزارة على تهيئة العوامل والأسباب التى تؤدى الى تشجيع الصناعات المصرية والنهوض بها وتوسيع مجال الانتاج فيها ، ليس أمام العمال الذين سيتعطلون بعد تسريحهم من الأعمال الحربية ، بل كذلك أمام كثيرين من أبناء البلاد الذين تضيق بهم الأرزاق فى المدن والريف .

ولما كان المـال هو الدعامة لتحقيق المشروعات النافعة، فان الحكومة تفكر فى فرض ضرائب تصاعدية على الايرادات المختلفة سواء كانت زراعية أم صناعية أم تجارية للاستفادة بحصيلة هـذه الضرائب فى اصلاح شؤون المحتاجين وتنفيذ المشروعات العامة التى تتعلق على وجه خاص بالصحة والتعليم وتحسين حالة المساكن .

على أننا لا ننسى أن نشير فى هذا المقام الى ما تأخذ به الحكومة من مشروعات اصلاح نظام الرى والصرف واستصلاح الأراضى البور لزيادة الانتاج الزراعى مع الاستمرار فى تمكين صغار الزراع من التملك وتقليل الفوارق على قدر الاستطاعة بين الطبقات وذلك بتيسير شروط البيع وتخفيف الأقساط واطالة مـدة التسديد وتقليل الفوائد الى أقل حد مستطاع .

وليس من شك فى أن كل هذه المشروعات الجليلة والتدبيرات النافعة تسير بالشعب خطوات واسعة موفقة فى الطريق الى تحقيق العدالة الاجتماعية .

الاتحاد الدولى للعمال

يواجه الواجب فى خدمة المجتمع

فى ٢٥ سبتمبر الماضى انعقد فى باريس مؤتمر النقابات الدولى لإنشاء اتحاد دولى جديد لنقابات العمال ، وكان المؤتمر يضم مندوبى العمال لخمس وستين أمة يمثلون أكثر من ستين مليونا من العمال .

وقد افتتح المؤتمر المسيو ليون جوهو السكرتير العام لاتحاد العمال الفرنسيين بكلمة قيمة قال فيها : إن هيئات العمال فى فرنسا ، وخاصة فى باريس ، مصطبغة على الدوام بصبغة دولية قوية ، وقد ظل هؤلاء العمال يرون دائما أن حرية بلادهم مرتبطة بحرية العالم ، وأنه لا يمكن أن تكون هناك شعوب سعيدة إلا فى عالم آخر .

حرية العمل

ثم قال مسيو ليون :

إن قسطا كبيرا من حرية البشر يتوقف على تحرر العمل الذى يعد مظهرا من مظاهر الدولية العمالية ، وإذا كان من الواجب على الدولية العمالية أن تقيم صرح السلام العالمى — ولا شك أن هذا واجبها — فمن الواجب أن يؤدى تضافر العمال فى جميع الدول إلى إيجاد القوة التى يمكن فرضها على أصحاب القوة والعنف وإرغامهم على احترام حقوق الإنسان .

القضاء على الميول الاستعمارية

غير أن الإجماع العالمى على استنكار الحرب ليس بأى حال من الأحوال ضمانا للسلام ، ويجب أن يعلن العمال أن الدعاية القائمة على هذا الاستنكار العام لا تكفى طالما كانت الميول الاستعمارية والنزعات الوطنية الاقتصادية والنظم الدكتاتورية قائمة تهدد السلام وحياة الشعوب وحريتها ، فلكى يوجد السلام يجب القضاء على البؤس الذى تعانيه أغلبية الشعوب .

تنظيم الإنتاج

ثم وصف الخطيب الحال التى يواجهها العالم الآن بسبب الحرب فقال : إن هذا العالم يعجز الآن عن الوفاء بالحاجات الضرورية للأفراد والشعوب ، فكيف بالوفاء بما جاء فى ميثاق الأمم المتحدة بشأن العمل على رفع مستوى الحياة وحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية واحترام حقوق الإنسان وحريته ، ومع هذا فانه ليس هناك حتى الآن سوى نداء إلى العمل فى كافة العالم .

وإذا كنا قد سمعنا الأصوات ترتفع بالدعوة إلى الإنتاج ، فاننا لم نشهد حتى الآن أن الشعوب قد تيسرت لها وسائل القيام بهذا الإنتاج تيسيرا يمكنها من أدائه على الوجه الذى يسد مطالب العالم الحيوية ، ونحن العمال نعلن أنه لا يمكن تحقيق هذا الغرض إلا عن طريق تنظيم الإنتاج تنظيما دقيقا ، وإصلاح الموارد إصلاحا يتفق مع الحالة الجديدة التى طرأت على حياة الشعوب .

وليس فى الإمكان إقامة السلام إلا بتعديل شامل لجميع العلاقات القائمة بين كافة الشعوب ولنظام العالم نفسه ، ولا شك أنه لا يمكن أن نتصور عالم الغد دون أن نتناوله بالتنظيم على أساس التبادل المنطق وربط شعوب العالم برباط التضافر على أن لا يقضى ذلك على صفاتها القومية ، بل على العكس ، يعمل على تقوية استقلالها . والشرط الأول لتحقيق هذا النظام الجديد هو تحقيق التعاون بين جميع العمال .

العالم يتطلع إلى الحرية

واستطرد الخطيب فقال : إننا لا نريد الحرب الاقتصادية التى تثير مرة أخرى حربا عالمية ، فان الإنسانية قد أصبحت تتطلع إلى الحرية والحياة المطمئنة لا إلى التوازن بين القوى العظمى ، ونحن العمال نرغب فى أن لا تتجه الجهود فى عالم الغد إلى توزيع جديد للقوى بل وإنما نريد أن نرمى إلى إنشاء قوة إجماعية للانتاج مجردة من التنافس المنظم .

الاتحاد واليقظة

وختم الخطيب خطابه قائلا : إن النازية والفاشية قد هزمتا هزيمة تامة من الناحية العسكرية ، ويجب أن يكون شعارنا الاتحاد واليقظة ..... وإنى على ثقة فى منح العمال حق التمثيل فى إقامة السلام عن طريق تمثيلهم تمثيلا مباشرا فى هيئات الأمم المتحدة .